لبيب الرياشي

الجبابرة

ان اقوى الرجال واذكاهم وانظمهم عقولا
واصحهم اجساما . هم ابناء العمال واحفادهم
فالسلالات التي لا تعمل عملا صناعيا تتدحرج
نحو الانحطاط في كل قواها العقلية وسلامة
اجسامها وانسالها

ايار ١٩٢٤

مطبعة القاموس العام — لصاحبها : م · حداد ابي راشد بيروت

الجبابرة

al-Riyāshī, Labīb

ان اقوى الرجال واذكاهم وانظمهم عقولا
واسحم اجساما ، هم ابناء العمال واحفادهم
فالسلالات التي لا تعمل عملا صناعيا تتدحرج
نحو الانحطاط في كل قواها العقلية وسلامة
اجسامها وانسالها

al-Jabābirah

ايار ١٩٢٤

مطبعة القاموس العام — لصاحبتها : م . حداد ابي راشد بيروت

4-17-68 19A5



تقدمة الكتاب

الى ذات العقل اللامع ، والشعور المجنح ، والحـديث المطرب ، والعاطفةالنبيلة ٠ التي تدرك عمق فكري ـ اذا كتبت ٠ وتثير القوى الكامنة في دماغي ـ اذا خمدت ٠ وتمدني من مستودع ذاكراتها ـ الذي لا ينضب بمئـات النكات ، وظرائف الاراء ـ و بدائع العبر الى امرأتي ـ اقدم كتـابي هـذا

ليب الربائي

مقدمة لغير المؤلف

الى كاتب الجبابرة

تصفحت « كتابك الجبابرة » فاذا بصفحاته الاولى ما يتلمس طريق ذاتي الباحثة، واذا بلمعان الفكر بين السطور تستوقف ما في اقصى الشعور من هاربات الحياة .

تتبعت فكرك وهو يخترق حجب المشاكل الاجتماعية الكبرى ويسبر ادق واعمق ما في هذه الحياة الكامنة فرأيتك تعلو وتعلو حتى امحت شخصيتك امامي ولم اعد اتميز من الصديق الذي اعرف غير لمعة في عينيه تجلت في السطور التي تصرع المكان والزمان وتهزأ بالموت وتهزأ بالحياة .

سوف يقرأ كتابك الكثيرون يا اخي فيقف بعضهم عند تراكيبه والفاظه منتقدين التجدد فيها و يعجزون عن النفوذ الى اعماقه ، والطيران الى افق سمائه ، و يقف البعض الاخر بين حركة الفكر في كتابك و بين ما جمد في ادمغتهم من العقائد وما حكم في عواطفهم من التقاليد فيرفعون عقيرتهم منادين بالويل والثبور . مكتفين بالشتم . متسلين باللعنة والعدد الاوفر من القراء سوف لا يحترمون ما جئت به من الاراء لان اسم المؤلف ليس جول روران او جبي ممبث مثلا !!

ولعل العدد الوافر من القراء ايضاً لا يسعهم الا الاقرار بجمال الاسلوب وسمو الفلسفة في كتاب الجبابرة فيقولون انك مترجم ولست مؤلفاً .

اما المفكرون من النبت الجديد في هذا الشرق الذي ما قتله شيء كسوء ظنه بنفسه فانهم يعلمون انك كتبت للناطقين بالضاد كتاباً لم يضع على منواله احد من الكتاب قبلك في هذه البلاد . كتاباً يعلم الامم كيف تنشيء افرادها و يعلم الافراد كيف تخلق اممها .

انني لشديد الاعجاب بما دونت في هذا الكتاب وقد اكون مخالفاً لك في كثير من النظريات التي استندت عليها ولكنني اعترف بان هذه الدوائر العليا التي جاد قلمك فيها لهي مركض الفلاسفة ولا يمكن لفيلسوف ان يدعي العصمة دون ان يصبح من ارباب العقيدة ولا عقيدة في مسارح النور .

يكفيك يا اخي ان تكون خلقت دوائر جديدة للافكار التائهة المضطربة القلقة وللافكار الجامدة في هذه الامة النائمة

و كنت اود لو اجد قلمي القديم لاجول بين سطورك كما كنت اريد وادرس ما فيها من النظريات العالية كما تستحق ولكنني اجدني مضطراً ان اقف عند هذا الحد معتبراً اعتبارك ان الحكمة لا يجب ان تحدد او تسجن بقيود لان الفيلسوف الاجتماعي ليس هو من يضع دستوراً للحياة بل من يقدر على جر قارئه الى التفكير وتلمس الطريق الاكثر ملائمة لطبيعته وما رسخ في قوته الكامنة .

الفيلسوف الحقيقي ليس هو ذلك الكاتب الذي يحفر الوصايا باصبعه على الحجر بل هو الرجل الذي نحني على الانسانية بكل ما في روحه من الحب والتساهل فيوجد من كل سامع لاقواله فيلسوفاً وكتابك منبر حر يصدر مثل هذا الصوت من اعاليه فارسله بين هذه الامة ليخلق فيها مفكرين وان من الطبقة الجامدة: ان من اكتشف طي نفسه دائرة الفكر والتأمل فقد خلق منها جباراً .

٢٥ نيسان سنة ١٩٢٤ — فيلكس فارس

* * *

طلائع الجبابرة

اذا كنت استهل طلائع الجبابرة بالدماغ ورسمه ، واعتني في تعريف مراكز القوى العاقلة المتعددة المستقرة في مناطقه — فانما استهل الكتاب في اسمى ما عصر الكون ، وافضل ما درس العلماء ، وجوهر ما استضاء بنبراسه نوابغ الابطال والجبابرة .

الابطال والجبابرة الذين هم قطب هذا الكتاب ، ومحور دائراته .

هم قطب الكتاب والعالم بعقولهم ولمعانها وانارتها ومبدعاتها .

وهم محور دائراته بتنوع اعمالهم ، وتكيف الوانها ، وخطوط رسومها .

اذن الشمس التي اضاءتهم وانارتهم فعكسوا نورها على المجموع ويبهروه .

والفلك الذي داروا به وادارو الناس في فضائه اللامتناهي .

هاتيك الشمس وهذا الفلك — هما ما استهل به طلائع الجبابرة .

* * *

العلماء والدماغ والجبابرة

انكر بعض العلماء والفلاسفة تعيين مراكز القوى العاقلة في الدماغ وتعريفها — كما عينها مستكشف علم العقل او علم الدماغ وعرفها وكما درسها خريجوه واتباعهم .

هذا الفريق الجاحد الذي لم يتخصص للعلم ويتثبت منه . اكتفى بالانكار والجحود دون ما برهان .

على ان الجاحدين والمؤمنين — اجمعوا

١ — على ان الدماغ هو مركز العقل

٢ — ان كبر العقل ونبوغ الانسان وجبروته — يتوقف على غزارة المادة النخاعية السنجابية .

٣ — على سلامة الالياف العصبية

٤ — على التناسب الموجود بين الدماغ والجسم ، وما يتبع هذه من مساعدات المؤثرات ، والحوادث، وشكل الاقتباس ، وكيفية الهيئة ، وسلامة السلالة .

* * *

كمال هذا العلم وعصمته

لانجزم ان علم العقل قد بلغ حده الاقصى من الكمال ، واصبح معصوماً !! . . . بل نعتبره ككل علم لا يزال في دور الدراسة والبحث والتحقيق . كما نعتبر ان مستقبل البشرية يرتكز على عضائده لاكثر مما يرتكز على اي علم اخر

ليس ذلك رأينا بعد ان تخصصنا لدرسه واختباراته والتأليف به . بل هو رأي عدد كبير من غواة العلم ، وحملة مشاعل المعرفة ومنهم من علماء الشرق الدكتور ابو خاطر والعلامة محرر المقتطف .

ان محرر المقتطف نشر في عدد يوليو سنة ١٩١٤ بعنوان « الدماغ والتعليم » ما خلاصته .

« لقد قام كبار اطباء الولايات المتحدة ينعون على جامعاتها الكبرى خططها في تنشئة اذهان ابنائها . ويقيمون عليها الصيحات بالسنة الصحف العلمية السيارة النفذ لي حتى يخيل للقاري ، كان علمها تجهيل ونورها اظلام وتعليمها تضليل وكان ذلك الارتقاء الهائل آخذ بالتراجع الى الدرك الاسفل من الانحطاط . وكل ذلك لشدة اليقين بمقام الدماغ وعلاقته الضرورية بنلاح النوع الانساني على الاطلاق »

« وقد افاضوا في شرح القوي الدماغية ووسائل تقوية كل منها واطالوا بايراد الشواهد والامثلة ايضاحا للمقاصد في مؤلفات مستقلة »

وقال « قد اصبح من الجلي الواضح وضوح الصبح لذي عينين ان في تنازع الامم على البقاء لا ينال اكليل الفوز والنجاح الا الامة التي ترتقي في افرادها قوة الدماغ الى الحد المطلوب · وقال « اننا نصرح ولا نخشى تكذيبا بان في المستقبل القريب سيكتب الفوز الاعلى والنصر المبين في جهاد الحياة للمدرسة والامة التي تعير احسن التفات لدرس الدماغ الذي عليه وحده يقوم بناء صرح المدنية ويتوقف تقدم النوع الانساني وارتقاؤه الى اوج السعادة والرفاه ولا مبالغة اذا قلنا ان مقياس تمدننا اليوم ينبغي ان يكون مقدار اجتهادنا في تحصيل المعرفة الاوسع حدوداً والاجلى وضوحاً المتعلقة بالدماغ ووظائفه على قصد ان نوصل قوة الجنس المفكرة الى اقصى حدود العمل والنفع · · ·

لان الفكر والسيرة ليسا الا مظاهر وجود الدماغ والجهاز العصبي واثر من آثارهما »

وختم بقوله « ان كان الدماغ هو العضو الوحيد بل السيف القاطع في محاربة الجهل فمن نقائص مدارسنا الكبرى انها لا تزال الى الآن قليلة الالتفات الى درس هذه القوة الحربية الضرورية في ساحة النزال » !

اذن العلم الذي يريد بعضهم ان يصوره وهماً اما لان مستكشفه الماني واما لانه يجهله — هو علم باصول يتوقف على العناية به — مستقبل البشرية ، وكمال العقل الانساني وابداع العبقريين والنوابغ والجبابرة

الدماغ ومراكز القوى العاقلة

طريقة الدكتور جال

مستكشف علم العقل

نقلا عن « كتاب علم العقل » للمؤلف

١ — قوة الحب الطبيعي

وتفيد — العلاقة والحب الجنسي

مركزها — القذالان في قفا الرأس . ويدل عليهما بخطين ناتئين ممتدين من النقرة الى ما وراء الاذنين .

٢ — الحوبة الوالديه

وتفيد — حب الولد . الرغبة في الامومة والابوة . العاطفة الوالدية .

ينشأ عنها — العطف على الصغار . الشفقة على الضعفاء

مركزها — فأس القفا فوق الحب الطبيعي تماماً — وهو النتوء المرتكز فويق النقرة والمتوسط بين القذالين .

٣ — العلاقات الودية

وتفيد — حب المخالطة . الانس بالاخوان . الميل الى المعيشة الاجتماعية . الاخلاص في الصداقة .

مركزها — جانبا الرأس وسط الجانب المؤخر من الفودين .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]
[illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible] — [illegible]
[illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — [illegible]
[illegible]


١٣
١٤
٢١
٣٤
١٥
١٨
٣٥
١٧
١٩
١٦
٢٠
٣١
٣٦
٢٨
١٢
٨
٢٩
٧
٤
٥
٢
١

٤ — الدفاع الشخصي

وتفيد — الاقدام في مواقف الخطر · الشجاعة · الاندفاع في تذليل العقبات · القيام في وجه المظالم ·

مركزها — جانباً القفا تحت التي سبقتها نحو زاوية النتوء الحلمي من العظم الصدغي من كل جهة ·

٥ الميل الى الهدم

وتفيد — القسوة والشراسة · حب الحرب · التلذذ باكل اللحوم·

مركزها — الجانبان الناتئان فوق كل اذن من الجهة العليا من مؤخر العظم الصدغي ·

٦ — التكتم

وتفيد — التستر · المقدرة على الاحتيال والتظاهر بغير الواقع · المخادعة ·

مركزها — وراء منتصف الاذن من الجانبين ·

٧ — حب التذخير

وتفيد — الميل الى الاكثار من المقتنيات · ادخار الاموال ·

افراطها — اذا افرطت قادت الى الشح والبخل والسرقة ·

مركزها — فوق وامام مركز التكتم للجهة الوجهية ويدل عليها نتوء محدب متطاول ·

٨ — الكبرياء ويسميها سبروزهيم * « احترام الذات »

وتفيد — حب الذات . الاعتداد بالقوى الذاتية ، حب الاستقلال الشعور بحفظ الكرامة . وعزة النفس

افراطها — اذازاد نموها قادت الى الاعتداد بالنفس ، والاستخفاف بالغير والكبر والتعجرف والظلم

الضغط عليها - - اذا ضغط عليها قادت الى الجنون

مركزها — وراء قمة الرأس بالقرب من زاوية ملتقى الفودين وهي تشغل مركز الجانبين من الرأس بالقرب من الفودين وشكلها اشبه ببيضة كولمبس

٩ — الطمع

وتفيد — حب الامتداح . التدلل . الفخفخة . الغيرة . الحسد .

مركزها — جانبا قوة الكبرياء .

١٠ — الحزم

وتفيد — الاحتراس . القيام بالعهد . تجنب مواقع الخطر . الاكثار من اليقظة .

افراطها — يقود الى الارتياب والتردد وتخيل غير الموجود . والايهام .

مركزها — تحدب الفودين

---

* سبروزهيم هو خريج الدكتور جال .

١١ — قوة التشخيص

وتفيد — تمييز الاشياء باشخاصها .

مركزها — وسط القسم الاسفل من الجبهة بين الحاجبين فكلما وسع وكبر هذا النتوء كانت قوة التشخيص ، وتذكر الاسماء اكمل — وهي تشغل الوسط من الجانبين .

١٢ — قوة تذكر الامكنة

وتفيد — قوة ادراك الامتداد وتقدير المسافات ، ومساحة السطوح .

تساعد على درس الهندسة وتذكر الامكنة وما بينها من المشابهات

مركزها — القسم الاسفل الواقع بين الحجاج الى منتصف الجبهة من الجانبين .

١٣ قوة تذكر الاشخاص

وتفيد — تذكر الاشخاص بصورهم ووجوههم وفراستهم . استحضار ما بينهم من المشابهات . وتسمى ايضاً قوة التصور لانها تمثل صور الاشياء بحدودها .

مركزها — تحت قوة تذكر الامكنة وكلما انفرجت المسافة بين العينين كانت هذه القوة اتم واكمل

١٤ — قوة تذكر المفردات

وتفيد تذكر اللهجات ايضاً .

مركزها ـ القسم الاسفل للجبهة فوق جحاج تقوس العينين ٠ وقبل طرف القوس بقليل ٠ اذا بلغت معظم نموها كانت العين كبيرة بارزة ٠

١٥ ـ قوة اللغات

وتفيد ـ سهولة تعلم اللغات والمقدرة على التعبير بها ٠ وتعلم لهجاتها ٠

مركزها ـ داخل وسط العين من الجانبين وتحت قوة معرفة الاعداد والرياضيات ٠

١٦ ـ قوة تمييز الالوان ٠

وتفيد ـ الذوق في اختيار الالوان واجادة التناسب في وضع الاشياء ٠

مركزها — وسط تقوس الجحاج من الجانبين وما يجاوره من اسفل الجبهة ٠

١٧ — قوة معرفة الاصوات

وتفيد — تمييز درجات الاصوات الموسيقية وادراك ما بينها من التناسب والتقارب وبهذه القوة يفهم الغناء وتنوع لهجاته

مركزها — الزاوية الجبهية فوق طرف الحاجب واذا كمل نموها تودجت الجبهة في جهتي طرف الحاجب ٠

١٨ — قوة معرفة الاعداد

وتفيد -- المقدرة على ضبط الاعداد ٠ صحة الاعمال الحسابية ٠

التبحر في العلوم الرياضية . وهي تمكن من معرفة الزمن وحفظ المواقيت وتواريخ الحوادث

مركزها — باطن الحجاج بين قوتي معرفة الاصوات وتمييز الالوان

١٩ — قوة علم الحيل « الميكانيك »

وتفيد — الميل للفنون الجميلة . حب البناء . الذوق في الكتابة التفنن في الهندسة . المقدرة على التصوير .

مركزها — وراء الحجاج خلف قوة معرفة الاصوات وفوق قوة معرفة الاعداد .

٢٠ — قوة الفطنة

وتفيد — المقدرة على الاجادة في التشابيه . الحذاقة في العمل وتصوير الاشياء موصوفة بالخطاب او القلم كانك تراها ، والافادة بالتشابيه الخطابية او قوة المقابلة .

مركزها — جانبا القسم الاعلى من العظم الجبهي ،

٢١ — قوة ادراك المعقولات

وتفيد — التعمق في الفكر ، ادراك النظريات . المقدرة على الملاحظة ، الميل لمعرفة علل الاشياء ومعلولاتها — فهي القوة الفلسفية .

مركزها — النتوء في اعلى الجبهة من الجهتين وتقابل مكان القرنين من الحيوان »

٢٢ — القوة الفكاهية .

وتفيد — فكاهة الطبع ، حب المزاح ، السرور المهازلة ، التهكم والهزء وقد تقود الى ما لا معنى له من الامور

مركزها — جانبا الجبهة وراء التي سبقتها مع ميل الى الخارج .

٢٣ — قوة الشاعرية

وتفيد — حب التفنن ، الميل الى المصنوعات الجميلة والتصورات الشعرية .

مركزها — تحت التي سبقتها مع ميل الى الخارج

٢٤ — قوة حب الخير

وتفيد — الرحمة ، صنع الجميل ، اللطف ، الايناس خفض الجناح

مركزها — مقدم الرأس فوق نتوء العظم الجبهي

٢٥ — حب الاقتداء او المقدرة على التقليد

وتفيد — تقليد اعمال الاخرين ، الاكثار من الاشارات مما يدل على معاني الكلام ، اتقان تمثيل العواطف بالاشارات والحركات وتقليد الاصوات والهيئات .

مركزها — جانبا قوة حب الخير بالقرب من قوة الاعجاب .

٢٦ — قوة الاعجاب والتعجب والدهش

وتفيد — الولوع بالخوارق والمعميات اوالاعمال السرية ، التصديق بالسحر والايمان بكل ماهو فوق الطبيعة

مركزها — جانبا اعلى الرأس بين قوتي الثبات وحب الاقتداء .

٢٧ — قوه التدين

وتفيد ـ التهيب ، الخضوع ، احترام السلطات ، الورع والتسليم ، واذا تناهت في النمو نشأ عنها الذل والاستكانة والاستسلام للرق والتهوس الديني والتعصب المكروه ·

مركزها ـ قمة الرأس للجهة الوجهية ·

٢٨ ـ قوة الثبات

وتفيد ـ متابعة العمل ، التمسك بالمبادئ ·

مركزها ـ القسم المؤخر من اعلى الفودين ·

* * *

تلك هي القوى ومراكزها وفقاً لرأي واختبار الدكتور جال اما خريجه سبورزهيم فانه يعدها سبعة وثلاثين قوة ويجعل اختلافاً في بعض مراكزها والدماغ المرسوم هنا ينطبق على طريقة سبورزهيم

معرفة القوة

يستدل على كل قوة بلمسها ومعرفة نتوئها ونموها اما سلامة الالياف السنجابية في داخل الدماغ والتطورات التي تطرأ عليها فان علماء هذا الفن لم يذكروا عنه شيئاً انما اختباراتنا الشخصية مدة عشر سنوات اثبتت ان مراكز السلامة الداخلية تعرف من فراسة الوجه واليد واللون والتناسب والطبائع ·

ومما استكشفناه في هذه السنة وتأكدناه بالاختبار والتجربة

اولا ـ تأثير الطبيعة السوداوية والعصبية على الذاكرات

ثانياً ـ ان للعواطف ذاكرات هي غير ذاكرات القوى العاقلة ·

ثالثاً ـ مركز كل قوة في الدماغ ومركز انعكاسها في الوجه والجسم وخطوط اليد

رابعاً ـ الامراض الدماغية ورموز تلك الامراض في العينين واليد

وسنشرح كل ما يتعلق في هذا الموضوع في كتاب جامع ·

* * *

امام هيا كل الجبابرة

الجبار المتجلي

بحول المرأة ، وعشقها ، ورهائنها ، وادراكها

والجبار المصور

بطولة القائد : الاسكندر ، القيصر ، نبوليون

فالمستكشفين المبتكرين

* * *

فضل العبودية الصالحة على الجبابرة

العقول المتصبة جبارة وعمداً

دين البشرية في المستقبل

* * *

في الرغيف عالم اسطورة

الصناعات والمعمل والجبل

العمل والذرائع

الاقبال والجبروت

— * * * —

٢

امام هياكل الجبابرة

١

في مدينة هياكل الجبابرة تعارفنا ، وتحت اقدام القلعة الضخمة تفاهمنا

هناك رأيت عقولهن مرسومة في الوجوه ، وناطقة بالتقاطيع ، وموحية بالنظرات ، ومعربة بالحركات ، ومتلونة بالنبرات

هناك ادركت مميزات جمالهن فاذا هو :

في تاييس كبر الذاتية وجموح المطامع — يلفانها لف الاعصاب .

في جوزفين — رقة الشعور ، وسرعة الالم — بخران دمها من عينيها دموعاً لامعة — هي حبات الماس في عيون الناظرين .

في هند — قوة تحليل فلسفي ساحر ينادي السامع — ان اسمع واخضع

* * *

تلك هي مميزات الجمال في تاييس . وجوزفين . وهند — اللواتي قذفهن الهواء الصيفي سنة ١٩٢١ : الهواء المخر بحرارة كوكبين : الكوكب الارضي ، والكوكب الفلكي .

قذفهن الى بعلبك — فاجتمعن في مدينة الشمس — مقدس هياكل الجبابرة

٣

وكان اليوم التاسع من شهر آب عندما هربن من صميم قيظ المدينة الى جنينة القلعة

الى قبالة المياكل المنتصبة اعمدتها كاساقفة تحملهم التيجان و يبهرهم الصولجان

٢

وهناك . في تلك الجنينة التي تتهادى بها مياه رأس العين متلوية دلالا — ظهر الفتيات الثلاث — لاعبات ، فمباحثات .

في ظل اشجار الجوز ، والتفاح ، والمشمش ، والخوخ .

وعلى جسم الحشيش الاخضر — جلسن — انصاف عاريات فمثلن لعيون الزهر كالزنبق القائم على اكمة المرج .

لقد لعبن حيناً برشاش الماء كما يلعب الصغار

وفكرن في المجتمع كما يفكر الحكماء ، وثرن لافكار تبادلنها كما يثور الشاعرون المظلومون ، ثم تباحثن كما يتباحث الخطباء البلغاء .

لقد فكرن وتباحثن بما سمعنه في مساء ذلك اليوم

في بحث يجند كل عواطف المرأة و يثير فيها جميع مكامن الحكمة . في بحث خلاصته .

٣

« اي الرجال تتعشق المرأة — المرأة المفكرة التي تحس بعظمة الحياة — طبعاً —

وايه هي الصفات التي تضرم دماغها
بنار الهيام ، وتصوراتها بجيوش الاعجاب
فالحب فالعشق فالتدله ٠ »
« ايه هي الصفات التي تجعل عقلها يتمرد
على عادات البشر ، وشرائع الاقوام ،
فتدوس العادات ٠ وتسحق الشرائع
وتسير فوق جثتها رافعة الرأس — الى
ذاك الذي ملك عليها لبها ، وقبض على
ناصية فكرها ، واضرم كتلة دماغها ؟ »
« اي هو ذلك الرجل وما هي صفاته ؟ »

* * *

نصف ساعة مرت على ذكر الخلاصة رقدت بها مواكب النطق وتبودلت مناورات النظر والفكر

وبعد نصف ساعة خرق حجاب تلك السكينة صوت تاييس الصغرى ٠

تاييس التي يلفها كبر الذاتية ، وجموح المطامع — لف الاعصاب

خرق صوتها حجاب الهدوء وقد تجلت لديها مجاهل الامبراطورية العقلية : الامبراطورية التي يرغب في استكشافها الباحثون فقالت بصوت المرأة الجاد

ان الشعور البركاني ، والاندفاع البرقي ، والمطامع المجنحة

٥

ان هـذه القوى العظمى التي ميزت بها المرأة تثيرها للاعجاب بالرجال الذين ماثل شعورهم شعورها ، واندفاعهم اندفاعها ، ومطامعهم مطامعها .

الرجال الذين دعاهم الخاملون بافكارهم ، الضعفـاء باعصابهم ، الخشنون بعواطفهم = مجانين !

مجانين بحبهم المجد ، مجانين بعشقهم الشهرة

مجانين بمطامعهم ليكوّنوا من الممالك مملكة !

ومن حوادث حياتهم تاريخاً

ومن اسمائهم اوطاناً عظيمة = فتتوسع الممالك بصولتهم ، وتكبر الحوادث باعمالهم ، وتشرف البلدان بشرفهم ، وتعرّف الامكنة باسمائهم ، وتنظم الاناشيد وترنم الالحان الموسيقية — اكراماً لهم

هولاء المجانين تحب المرأة لانها تحب العظمة وابطالها — لذلك هي تحب الاسكندر والقيصر ونبوليون واشباههم

٦

اجل . — الاسكندر — الذي هدم عرش سيريس وحكم الشرق منتصراً والهند قاهراً — تحب — ومثيل الاسكندر .

الاسكندر الذي حمل آثينا بمدنيتها وعظم باسمها وقهر جيوش العالم بسواعد تلامذة ستاجيرت — تحب ومثيله

الاسكندر الذي نقل عصر بركلس وفلسفة مجمع ليـه — الى

٦

ممالك واقطار العالم — تعشق ومثيله

فهي تعشق الاسكندر الجبار ومثال الاسكندر الجبابرة

٥

القيصر . مفتتح الفرس والجرمان ورافع النسر الروماني فوق جبال القوقاز والغول الايطالي وافريقيا وقرطجنة وشواطيء النيل وغاليه . . .

بمثل هذا تعجب وبمثله تهيم

القيصر مكتسح البسفور والرن والطور والالب — تعشق

القيصر ومثيل القيصر الذي لم يكن حربه غير نزهة في الممالك .

القيصر الذي سكب في عقول الناس — حيثما حلّ — اسم رومة ولغتها واخلاقها ومدنيتها وشرائعها

القيصر الذي كوّن من عشرين مملكة امبراطورية واحدة — تعشق

فهي تعشق القيصر الجبار ونظير القيصر الجبابرة

* * *

٦

نبوليون منظم افضل حروب متمدنة عرفتها الشعوب التأر يخية ومثيل نبوليون — تريد

فالمرأة اذن تعجب بالاسكندر والقيصر وتحبها وتعشقها لان الاول حمل عصر بركليس والثاني عصر اوغسطس وافتتحا العالم

بوتجي — وهدى — ونبوغ : — هوميروس ، وسوفوكل ، وافلاطون ، واريسطو ، وشيشرون ، وليكير ، وفرجيل ، وهوراس .

وتعجب بنپوليون وتعشقه لان نپوليون حمل لا عصر علم واحد ، وفلسفة قرن . بل

بل ثلاثة اعصر علم وفلسفة نقل — وثلاثة عصور علم عـلم

ولانه انتصر وسلاحه لامع بحكمة مونتاني ، وديكرت ، وكورناي ، وراسين ، وفولتر ، وروسو .

وبعقولهم النيرة هـدم مباني الارستوقراطية ، وشاد على انقاضها معاهد الديموقراطية .

فالمرأة تعشق نپوليون الجبار وامثال نبوليون الجبابرة هولاء وامثالهم تعشق المرأة وهذا ما اعشقه .

. . . .

هذا ما قالته الفتاة تاييس الصغرى — التي يلفها كبر الذاتية وجموح المطامع — لف الاعصاب

اما جوزفين الوسطى فما انكرت على رفيقتها وصديقتها ان المرأة تحب المجد والشهرة — مقعدي الابطال الجبابرة ولكنها انكرت حب المرأة لجبابرة القتل والتدمير والعداء فقالت :

ان من ذكرتهم ياتاييس هم جبابرة العصور القاسية الشرسة يا اختي . هم جبابرة عصور الدم الذين اهلكوا من الشبان النشيطين في المـاية

٨

تسعين واحتفظوا بالعشرة الخاملين .

٧

ان المرأة تحب الجبابرة .

نعم هي تحبهم . ولكن الجبابرة الذين انتصروا على الشرائع الطبيعية الفظة التي ينادي اصحاب الفلسفة التقليدية ان نعود اليها .

ان المرأة يا اختي تحب البطولة ولكن بطولة منوري العالم ، مهذبي السريرة البشرية — دون معارك دموية ، ودون تضحية بشر مخلصين اشيطين .

ان المرأة تهيم برجال العظمة ولكن الرجال الذين حرروا الشعوب باقلامهم واعمالهم . وعلموا الناس حقوقهم وواجباتهم علموهم ذلك . بصراحتهم وجرأتهم ومعاهد علومهم .

ان المرأة : يا اختي

تحب اديسون سيد الجبابرة ومثيل اديسون

اديسون الذي انطق الجماد وقرّب الابعاد ، وانار الليل الحالك وسير آلات المعامل

تحب لامرك ودروين اللذين اكتشفا سر التكوين ، وقلبا فلسفة العالم الطبيعية من الحدس والتخمين الى براهين الحق ، والارتباط التكويني اليقين .

* * *

تعشق ماركوني الجبار وامثال ماركوني الجبابرة

ماركوني الذي ركب للتموجات الهوائية السنة ، وانطق الجمادات بلغات البشر

ان المرأة يا اختي تحب الجبار كولمبس الذي اكتشف عالماً مجهولا من عالم معلوم وغيّر نظام حياة الانسان وشكل الارض — فاكمل الكرة

تحب الجبار باستور ومثيل الجبار باستور

الجبار الذي قتل الموت الاسود بمكروبات الموت فابدع من الداء الدواء .

تحب كوري ومدام كوري وابنة كوري الجبابرة .

الذين خلقوا من التراب مادة النور السرمدي والاشعة الخالدة .

. . . .

بهولاء الجبابرة يا اختي تعجب المرأة . وبامثالهم تهيم جبابرة الاكتشاف والفن والعلم والادب .

الجبابرة الذين اوجدوا عصر التجدد في الانسان ، واناروا دماغه ، ووسعوا مداركه ، وهذبوا عواطفه ، لا مثيل اولئك الجبابرة الجزارين الذين استعبدوا الشعوب ، واذلوا الامم ، وقتلوا الشيطين

ان عواطفنا وميولنا تكوّن رجالنا فلتكوّن بعواطفنا وميولنا — جبابرة العلم والقوة والفن والحكمة والجمال لا الجبابرة المكتسحين المدمرّين الذين يقتلون رجال العلم لينشروا العلم ويفتحون بشبان

القوة ليعززوا القوة. و يسحقون رجال الفن والحكمة والجمال.

مرات معدودة خضعت المرأة لبرهان خصم مناظر وشكرت واثنت لان الشرائع الماضية ربتها على الخضوع للقوة لا للبرهان

ومن تلك المرات المعدودة هذه المرة

فان تاييس صافحت صديقتها جوزفين . اما هند الثالثة فقد عانقت تاييس وقبلتها وتابعت مجاري رأيها ولكنها استكبرت ما قيل وشعرت ان مثل هذه الافكار اذا وضعت موضع العمل تركت الفتيات في بيوت ابائهن عوانس معذبات لان العالم لا يقدر ان ينشئ مثل هؤلاء وهو لا يزال جاهلا طرق التوليد السليمة . وعلم الزرع الطبيعي، والانتخاب الزوجي، وفن المعيشة العائلية، وحقيقة التربية المدرسية، واصول الشرائع الاجتماعية وكيفية العمل العقلي واليدوي.

هذه العلوم والفنون والتربيات والاصول والشرائع — لو اجاد الانسان معرفتها واحسن تطبيقها لكوّن الجبابرة كما يكوّن الجياد من الخيل، و يستخلص الالماس من الفحم.

شعرت هند ذات القوى التحليلية الفلسفية التي تنادي السامع ان اسمع واخضع ...

شعرت بذلك القصور الانساني فشاءت ان تقترب ممن هو كائن لتعد من يجب ان يكون فاطرقت دقائق ،ثم رفعت رأسها الملكي ،وحوّلت نظرها الى اثريات القلعة الكبيرة حيث تنتصب العقول حجارة وعمداً.

وتحفر الافكار نقوشاً ورسوماً ، والعواطف عبراً وتواريخ

التفتت الى القلعة — الى المجموعة البشرية الناطقة بسكونها ، والمحدثة الناس بابلغ اللغات التي ولدت منذ الازل الذي تكون به الفكر ، وستعاصره الى الابد الذي يتأله به العقل

بسرعة الفكر مثلت امامها الحقائق — وقد خف جسمها وتنبه عقلها وتيقظت حواسها فاستوت بغتة في وقفتها شاعرة بملوكية ما فكرت في داخلها

الملوكية التي تسر الوحي الحقيقي للجنس البشري

الملوكية الدماغية التي تحمل شعلة نور الخلاص لمستقبل الانسان . والبطولة والجبروت لابناء الغد فقالت

نعم نحن نحب الجبار ، نذوب شوقاً اليه ، ونعمل على غير هدى — هياماً به — والعامل النشيط المفكر جبار يا ابنة جنسي وهذا مثال جبروته — (مدت يدها البيضاء الرخامية الناعمة مشيرة بسبابتها الى هياكل الاجيال ومقام خلود اثريات العمال)

* * *

لقد قفص العامل في الماضي . قفص بالعمل كما تقفص الاسود في ايامنا هذه في جنينة الوحوش

اني لا ادعوكن للذهاب الى معرض الحيوانات لتشاهدن الاسود في اقفاصها فتعلمن كيف تنص الانسان العامل بل في موقفنا هذا

١٣

تشاهدن

تشاهدن اثريات العامل الذي قيّد اولا بالعمل . لان العمل والصناعات اعتبرت في العصور الملحودة في قبر الابدية — ذلا وقصاصاً للارقاء والعبيد وقنصاً لرجوليتهم . فكان هذا الذل او العار الذي اقتص به منه — منارة حرية — استاذ تربية — معلم نظام وقواعد ، مدرسة ثبات ونشاط ، قائد الفة وتكاتف ، آيات جمال باهرات ، هياكل لحقيقه السعادة الضائعة ، مسرح طرب وسرور للشاعرين . فكان العامل جامعاً لكل هذه الصفات الكبيرة .

اجل كان العمل كل ذلك فكان العمال جبابرته الاشداء

كانوا ولايزالون ! وان يزالوا

****

وجد الانسان ابن الطبيعة القاسية

القاسية بشرائعها الظالمة

القاسية والظالمة ببردها ، بقحطها ، بشراستها .

بحرها ، ببراكينها ، بصواعقها .

بكروباتها ، بحشراتها ! بحيواناتها ، بامراضها ، بقتلها الفظيع

بهذه القيود كبلت الام القاسية ولدها واحاطته بقضبانها القوية الصلبة

ولكنها سلحته بز بدة خلاصة عناصرها فقطع بتلك الخلاصة قضبان

ففصها وكسّر اعمدته وكان نلاح تلك الخلاصة — العمل
العمل الحاذق بايدي العمال الحاذقين الفنيين ·

* * * * *

لقد كانت حياة اجدادنا مأساة فاجعة يداهمها الخطر من كل صوب ·
ويُحدق بها التعس من كل جهة ·

على ان هـذا التعس حـول الى عرس او كاد بفضل العمل
والجبابرة العمال

العمال الذين اشتغلوا العصور والاجيال

اشتغلوا بارادة عادلة وعزيمة صادقة فقادونا بمثابرتهم ونشاطهم الى
ميدان الظفر، وملكونا اعلام النصر ·

فالعمّال الذين اعتبرتهم عصور الظلمة عبيداً — مثلوا حقيقة العقل
فنقلوا الانسان من الدور البهيمي ، الى الدور الانساني ، وخففوا
مصائبه وويلاته ، وبرهنوا عن صلاح تكوين الدماغ لقبول العقل · وعن
صلاحية ذلك العقل المرقي ·

ابتدأوا بايجاد النخل ، والميزان ، والزاوية وخلقوا الفاس · والقدوم
والمطرقة فآلة رفع الاثقال فالعربة الدراجة ·

وبعد زمن — هو الزمن القريب من ايامنا — البخار ، والماء
والهواء ، والكهربائية

وهكذا انتقلوا بنا من العمل اليدوي المضنك — القاتل الوقت الطويل

والمذيب البدن المتين الى الآلات السريعة الانتاج المخففة الجهاد ،

فالباخرة او المدرعة التي تبلغ قوتها ٢٠ الف حصان ٠ تعمل بادارة ثلاثة عمال — عمل مليون ومايتي الف رجل — يشتغلون النهار باشراق شمسه ٠ والليل بظلامه وتألق بدره ٠

فكل ميكانيكي او وقاد في باخرة يشتغل بقدر ستة الاف رجل فهو يسخر قوى الطبيعة لقواه ، وعظمتها لعظمته ٠ لذلك قلت انه جبار عظمته لا تحصر

لاتحصر في تقوية عضلاته ، وتنظيم حركة جسمه الدموية ، واخضاع اطرافه لارادته بل تجاوز ذلك الى اثارة الذكاء ٠

ان العمل علمه الملاحظة والدقة ٠ وسكب في دماغه اليقظة والنباهة فجابرة البناء والحدادة والنجارة اثار بهم التيقظ عند طرق مطارقهم حذراً من خطر المطرقة لئلا تصيبهم بجرح او تقع على مقتل ٠ وتنظيما لما يعملون وما يستثمرون ٠

علمهم الموازنة والمقايسة ، علمهم التعادل والثقل ٠

فالبناء مثلاً — البناء الذي هو احدهم يقف وراء الحائط المرتفع عشرات الامتار لتتمة البناية الشاهقة فيحسن تعديل الثقل ، والتوازن وتقدير الاقيسة ليكون بناؤه صحيحاً متيناً ويحفظ حياته من خطر السقوط

هذا الاتقان وهذه الاجادة كونت المعرفة فانتقلت بالارث من

جيل الى جيـل فاستثمرها الاحفاد ملكة اتقان واجادة · وتمرين ، صفات الجبار النافع ·

كما ان العامل بعمله علم التكافل البشري ، والاخوة الانسانية ·

* * *

في رغيف الخبز الذي نأكله شاهد عدل وحق ·

في الرغيف الذي يقدم لنا عناية السلالات البشرية العاملة ·

من التي اكتشفت القمح — الى التي نقته ونظفته ، الى التي زرعته في فصله ، وحصدته في حينه — الى التي طحنت حبه ونقلته بجـد الى التي عجنته بمعرفة — الى التي خبزته باتقان فتغذى به الناس دون مـا فرق في المذاهب التي اوجدها المضللون الكاذبون والجنسيات التي قال بها الطامعون · والاوطان التي حددها المتوطنون

اذن الزارع الكريم لم يقدر على تقديم الرغيف وحده

بل عمل معه العامل ولا اعلم مذهبه ، وجنسيته ، ووطنه — العامل الذي نقى الارض من الشوك والقطرب والحجارة · ورفيقه الذي قتل الجرذان والدبابات · وعمل معهما المهندس الذي وضع خرائط الطرق والسكك الحديدية فالعامل الحداد الذي طرق الحديد ، والنجار الذي رفع بناية المقطورات فالعامل الذي اشتغل في الطرقات فالبنـاء الذي بناها ورفع المطاحن وحركها فالحائك الذي حاك الاكياس · · · ·

كثيرون هم العمال الذين جاهدوا في ايجاد الرغيف الذي نأكله

١٦

ونقتات بها ونتغذى

انهم من اديان مختلفة ومذاهب متعددة واوطان متفرقة بمعتقداتهم الـتي حقن بها ادمغتهم المفرقون بينما هم من دين واحد يستعملونه في الوضع هو دين التكافل الذي يمارسونه كل دقيقة بالعمل لا بل الذي يحفظ اجسادهم وكيانهم ويصون الفتهم ٠

* * *

كم هي جميلة شريعة التكاتف والتكافل التي يسنها انا العامل الجبار بنشاطه وجهاده وسلامة طويته

وكم يحرك فينا هذا العامل من الثورات الداخلية ٠٠ يحركها على الانانيين والجهال المتمذهبين ، والافراد المتجنسين — الذين يقولون بالتفرقة بـين الناس — باسم الاديان لانها تعلم المحبة والتكافل والحقيقة بينما العمل هو الذي يعلم كل رقي ويبرهن على المحبة والتكافل والحقيقة وهي التي تحزب الناس على الناس لتقطع الايدي التي تعمل لاجل الناس باسم المذاهب والدين والوطن ، وتهدم البناء الانساني الجميل الذي يعمل لاجل الكل ومحبة في الجميـع وحفظاً لحياة الجميع ٠

آه ما اشرس الانانيين الجهال المتمذهبين المتجنسين ٠ آه ما اظلمهم ٠ وما اقصر ادراكهم ٠ واعتم ادمغتهم

* * *

لم تقف عند هذا الحد حتى كانت قد تفجرت عيناها وتوترت

اوداجها فسكتت — متأملة · دقائق · وجالت نظرها بصديقتيها متفرسة فاذا هما تنظران اليها نظرات الاعجاب والاستكبار واشعة اعينهما تعلن طلب الاستزادة فقالت

ماكمل ما رغبت في شرحه عن هوءلاء الجبابرة وفائدتهم للانسانية

فقالت جوزفين — اتمي يا اختي ان ما تشرحين يوسع الادراك ويعلم احترام الحق الممتهن ، والواجب المقدس لا بل يعلن دين الانسانية الجامع

اما تاييس فنظرت اليها بعينين وقادتين وقالت :

هذا نشيد اوقع في نفوس المفكرين من اناشيد سليمان في مسامع المتيمين ، واسكر من كوثر الالهة في افواه الخياليين ·

عبارتان زادتا تنبه هند ، واطربتا كل قوة من قواها فثار تيقظ ذاكراتها وتنبه افكارها

ولا شيء يحرك المباحث المفكر مثل شعوره باعجاب السامعين فعادت الى بحثها وقالت ·

ان فوائد العمل والعمال لم تتقيد بما ذكرت وشرحت بل تعتبر انها هيكل السعادة ·

هيكل السعادة التي هام بها جميع الناس وفتشوا عنها فيما وراء الطبيعة وهي تحت انظارهم وفي قبضة ايديهم — لو يدركون

هي في العمل ·

هي في العمل الذي خلصنا من ضغط الشرائع الطبيعية ، وفتح

١٨

امامنا سبل الحرية

هي في العمل او هي العمل الذي ابعدنا عن مذيبات القوى الحيوية، ومحللات القوى العقلية ٠

هي في العمل الذي ابعدنا عن جرائم المجتمع الفاسد بالبطالين ٠

ابعدنا عن المخدرات ، والمسكرات ، والدخان ، والمقامرة ، عن الفسق والدعارة عن البطالة التي تمنطق بها الكسالى

هي العمل الذي ابعدنا و يبعدنا عن الاغتياب ، والضغينة ، والحقد ، عن الحسد واللوءم ٠ عن المخاتلة والاحتيال

يبعدنا عن كل النقائص التي ذكرت ويمثل لدينا اجمل فنون الجمال :

تصوروا مشهد عامل يهذب الحجر الوحشي ٠

كم هو جميل منظر عضلاته وضرباته

كم هو ظريف ذلك النقش ٠ كم هو معجب منظر ذلك الحجر وقد أعدَّ منتظماً مهيئاً لرفع البناء

بل كم هو جميل مشهد عشرات من العمال يتناقلون الحجارة من يد الى اخرى حتى تصل ليد البناء الذي يشيد البناء ليقينا من هجمات الطبيعة ٠

وكم هي ثمينة تلك الدراري التي تتصبب من هاتيك الجباه السمراء اللامعة ٠

ما اعظم العبر التي يقدمها لنا العامل ٠ وما اسماه من جبار وكم نحن بحاجة لكريه واحترامه

١٩

لذله يجب ان تحفظ ابتساماتنا وهو من يجب ان نحبه ونعجب بـه ونعشقه .

ان من ذكرتهم الاخت جوزفين هم زعماء هوءلاء الجبابرة فاذا أعجبنا بهم فلنعجب بشر كائهم في جهادهم لنكون عادلين . . . واقترب الثلاث كان قوة غير منظورة حركتهن حركة منظمة — فتعانقن

. . . .

. . . .

١٠

مساء ذلك اليوم عقد الفتيات الثلاث موءتمراً . . . بعد اسبوع قبل ان يتفرقن للتبشير بمادئهن ارسلن الى معارفهن المنشور الآتي

«لما كان الرجل في جميع ادوار حياته صنيعة المرأة وحبيبها وعشيقها . ولما كان سباقاً الى ارضائها والتضحية لاجلها فلنتخذ من عواطف رغبته بنا وشوقه الينا = جيشاً نحارب بـه ضعفه وضعفنا ، وانوءلف مملكتنا الادبية ونجلس انسان الغـد . بحكمتنا — على عرش الحاكمية الحقيقية ونهديه الى المعتقد الحق ونعلن الرجل .

ان الصفات التي تضرم دماغ المرأة بنار الهيام ، وتصوراتها بجيوش الاعجاب فالحب فالتدله .

ان الصفات التي تملك عليها لبها ، وتقبض على ناصية فكرها انما هي

كبر الذاتية التي تعرّف منا بقوة الابداع الفكري · والعمل الصناعي العقلي

ان الصفات هي صفات العامل الذي حرر الانسانية وزين حقولها، وبنى قصورها ، وانشا بواخرها ، ووضع نظاماتها وقواعدها

هو العامل الذي حاك ثيابنا وجمّل اجسامنا · وكبّر نفوسنا · واوجد عقولنا — هو العامل هو الجبار الذي نحب ونعشق

قل له ان العامل هو الذي اوجد مكاناً موثراً تحت الشمس للانسان ودينا صحيحاً للمجتمع ، يعلم افضل الشرائع واسمى المذاهب قل له ذلك واعمل به

لنصنّف من هذا الجيل طوائف العمال النشيطين النابهين المتيقظين · ومن اولادهم طوائف المبدعين المشهورين ومن احفادهم — الجبابرة الكاملين الخالدين

. . . .

. . . .

ذلك حجر رماه فتيا تنافي بحر الفكر · اما تموجاته في ذلك الاوقيانس الهائل فستظل عاملة متموجة بفضل — الحروف الهجائية وطباعتها — تلك الادوات الساحرة الاشتراكية الشيوعية التي تسكب عقول اعاظم امراء الفكر — في ادمغة اصاغر عبيد الجهل معلنة ثلاث حقائق مقدسة

الاولى — ان العامل هو الجبار الحقيقي ·

الثانية — ان العمل هو مكون العقل الانساني ·

٣١

الثالثة — انه بقدر ما تنمو قوة العمال وترتقي سلالاتهم مصعدة نحو الانسانية والالوهية — تضعف قوى غـير العمال وتتدحرج هابطة نحو الحيوانية .

٢٢

اداة الجبار

الانظمة حكيمة ، والعاصفة شديدة

الجبال قوية ، والبحر جبار
الفضاء واسع ، والصاعقة محرقة

اما المبدع الساحر الذي يتجلى — احكم من الانظمة
لانه يستخدمها

واشد من العاصفة
لانه يقاومها
واقوى من الجبال
لانه يحولها
واكثر جبروتا من البحر
لانه يسخره
وامد سعة من الفضاء
لانه يدركه
واروع من الصاعقة
لانه يذيبها

ذلك المبدع الساحر الذي يتجلى عظيماً فوق عظمة الطبيعة انما هو :

الفكر

☆ ☆ ☆

الفكر ابن الابوين الحاذقين ، وربيب المهذبين الموسيقيين :

ابن العمل والتجارب

وربيب المرأة والحب

٢٤

العصمة !

الجبابرة الذين سطرت اسماؤهم في دنيا كل الامم جميعاً لم يكونوا كاملين ولا معصومين !

جبابرة لم يكونوا حكماء !

وجبابرة لم يكونوا معتدلين !

وجبابرة لم يكونوا بليغين !

***

وجبابرة كانوا — قساة

وجبابرة كانوا — ظلاماً

وجبابرة كانوا — سفاكين

وجبابرة كانوا — شهوانيين

كل جبار من جبابرة هذه القافلة مزق ثوب فضيلة — وقدم خرقها لاتباعه تعاويذ . اوحرق هيكل حكمة — وذر محروقه في عيون عشاقه — رماداً سياقاً . . . —

على انهم جميعاً — كانوا بعز يمتهم وجرأتهم — اشداء منفذين

وكانوا بشعورهم واخلاصهم — حساسين طموحين ؟

وكانوا — بافكارهم واعمالهم — مدركين مضحين

٢٥

مواقف السيادة

« ان سباسبان الذي ادهش الرومان
وهو على العرش كان موضوع احتقارهم
عندما تولى ادارة المالية »

من شذوذ الجبابرة ، انهم لا يعملون ، فيبهرون و يدهشون ، الا في مواقف السيادة

اذا وضعوا في غير مواقفهم خمدت شعلة ذكائهم ، واختبأ نور نبوغهم . لا رهبة من المتسيدين ولا خوفاً ، لانهم لا يهابون ولا يخافون بل تألماً من خطيئاتهم .

تألماً من خطيئاتهم النافرة .

لان في اجسام الجبابرة دقة الياف عصبية تتأثر من جهل المدبرين ، فتنفرهم

تنفرهم ، فيقطبون ، و يستخفون ، و يحتقرون ، و يثورون فيقال في ذلك الحين انهم غير اكفاء . وغير قديرين .

اجل ! انهم غير اكفاء ، وغير قديرين لانهم وضعوا في المراكز التي تصغر عن هممهم الناهضة ، وتنحط عن امانيهم الكبيرة ، وتتدانى عما تستحقه عقولهم المشتعلة . ولا غرابة في ذلك للمتبصرين .

٣٦

لان النسر .

لان النسر الذي يحلق بجناحيه في الفضاء بجرأة ، و يرتفع الى ما فوق الجبال ، والغيوم ، والابخرة — بعظمة .

ان هذا النسر يضعف عند ما يلامس الارض فيعجز عن مسابقة السنونو — فوق سطح الكرة واديم الماء — طائرة . و يقصر عن مزاحمة الدجاجة — ماشية ، والثعلب — راكضا ، والخلد مختبئا ، والحية ملتوية .

⁂ ⁂

⁂

٢٧

مغتصبوا العروش

١

ميز مغتصبو عروش العالم . بالحنكة والجرأة ، واشتهروا بالاقدام والمعرفة . غير ان مغتصبي عروش الشرق لم يظهروا — وهم يقبضون على الصولجان — حكمة واقتداراً

حكمة واقتداراً ميزا بها وهم يسابقون الملوك والسلاطين

فلم ذلك . واين ذهبت تلك القوى اللامعة ؟ ؟ . . .

لماذا لم ينفع هؤلاء الشعوب وتتجلى بهم الحكمة التي تجلب قبل الاستيلاء على التيجان ، والتزين بجواهرها ؟ ؟ . . .

ولماذا رأينا معظم مغتصبي عروش الغرب — الذين هم اقل حكمة وادنى اقتداراً — رأيناهم — مشترعين . ومفيدين ومصلحين — وهم من الامة رأسها ، ومن الشعوب منارتها ؟

٢

ذلك — لان مغتصبي عروش الشرق — اعتبروا ان امانيهم تحققت ، وامالهم تمت بالجلوس على العروش .

اما لو شاهدوا ثواراً يطالبون بالاصلاح والرقي والنهضة . لواحسوا برجال يهددون سلطانهم اذا لم يفعلوا — لاصلحوا ورقوا ونهضوا — محافظة

على زهو العرش ، ولمعان التاج .

ولكنهم .

ولكنهم . شهدوا شعباً طائعاً راضخاً عبداً

ولكنهم . شهدوا امة خانعة تعفر جباهها تصاغراً

ولكنهم . شهدوا قطعاناً من المعزى والغنم — تهش بالعصي وترضى بالنفوذ المموه بالنكاية ، والكذب المنظوم شعراً ، والخطب المملوءة اعجاباً ، ودهشة ، وعبودية .

ولكنهم . شهدوا كل ذلك — فتألهوا — وهمدت تلك الشعلة النيرة التي اضاءت بصائرهم ، ورقدت هاتيك الفكرة العالية التي رفعتهم الى اسمى المناصب — فلم يكونوا جبابرة مصلحين ، ولم يكونوا على العرش عظماء نافعين . بل كانوا كشعوبهم عبيداً .

٣

اما . . اما جبابرة الغرب الذين اغتصبوا العروش فقد ابهروا العالم بذكائهم وهم على رأس الامة .

نهضوا بالشعوب وهم يقبضون على الصولجان — فكانوا في الحرب ابطالا وفي السلم جبابرة .

فامثال اوغيست و كرمول اشترعوا واصلحوا لانهم شهدوا شعباً يمزق حجب العبودية ، و يقطع سلاسلها الثقيلة

لانهم شهدوا ثواراً متطرفين — يطالبون بحق الحرية ، وحق

٣٩

الحياة

شهدوا رجالا غير خائفين من انقلاب نظامات العالم اذا ضحوا غير خائفين من وقوف الارض ، وانحجاب الشمس اذا جاهروا باحترام نفوسهم ، وماتوا اعزاء في سبيل تحررهم

شهدوا ذلك ورأوه — تخافوا ان تهدم العروش على رؤوسهم — فجاهدوا واصلحوا وكانوا رجالا ابطالا في الدورين

والشعب العبد الذليل — يكيف حاكمه عبداً ذليلا ، و يصير مجموعة نذلا خانعاً

والشعب الحر الناهض يكوّن ملكه حرا ناهضا ، و يمثل مجموعه كريما مستقلا

* * * *

٣٠

في الكفة الاخرى

١

هو ذا ميزان التكافوء والغبطة والحظوظ . ضع الشقاء في كفة . الشقاء الذي يفهم جميع اللغات ، ويتحادث بكل لثغات اللهجات ضع هذا الشقاء في كفة من كفتي ميزان الحياة . وخير البشر ليضعوا في الكفة الاخرى اماني حياتهم او بالحري سعادتهم وغبطتها اذا فعلت ذلك ، اي موزون تعتقد انهم يضعون ؟ واي مواد ثمينة يزنون ؟ ؟ ؟

٢

المتوحشون — يملاؤن الكفة بزقاق الخمر ، وقبضات البارود ، واعمار الريش

المتمدنون — يثقلونها بصناديق الذهب . وايام محاصرة ورقص وسكر

الشبان والشابات — في كل عصر ومصر — بمعشوق جميل لعوب

الشرقيون — اجمالا — بوظيفة ونفوذ ومداعبة امرأة طروب

رجال الدين — بكيد من لا يعتقد اعتقادهم و يسير تحت اعلامهم

المستعمرون — برشوة الزعماء المستعمرين ، وتوزيع السلطات عليهم ، واثارة النعرات الطائفية والمذهبية فيما بينهم فنهب اثرياتهم ،

وجمع ذهبهم

القواد المحررون — بالم متتابع فزوابع ثورة ، فانهر دماء

تلك هي المواد الموزونة من هاتيك الفئات. وامثالها في كفة اماني الحياة وحظوظ السعادة

٣

اما الحكماء فانهم يضعون في الكفة الفارغة مئات من المواد التي لا نشاهدها ولا نعرفها :

ربما التراب الذي استنبتوه شجراً وازهاراً فنسجوه خيوطاً واثواباً

ربما النسل الذي اجادوا انتخاب جنسيه فجملوا شكله ورقوا فكره

ربما العبودية الصناعية في الاجداد التي استثمروها عقولاً منظمة في الاحفاد

ربما التموجات الهوائية التي حادثوها باللغات وانطقوها بالاشارات

ربما الماء الذي احرقوه بخاراً وكيفوه قوة ، فسبحوا به فوق الماء ، وطاروا معه في الهواء

٤

قد يضع ارسطو جنين الدجاجة ۰ ونيوتن التفاحة ۰ ولا فوازيه التأكد ۰ وغليلو اهتزازات القنديل ۰ وهارفي الحركة القلبية ۰ وهيغو كنارة اللصوصية ۰ والمعري عماه — تلك هي اشكل سعادات الحكماء الغريبة

اجل . وربما كان الموزون في كفة السعادة — الشقاء الذي طهروه . والبؤس الذي هذبوه فاسعده

* * *

ان السعادة عن داخل العقل تصدر اما لمعان الحوادث الخارجية فقد يطرب حيناً ، — وحيناً محدوداً ، وقد يؤلم وقتاً — ووقتاً قصيراً ولكنه لا يسعد ولا يشقي

٥

ما اشقى البرميل ديوجنس — ولا اذل المغرب عماه
وقد اشقى « التاج » تقولا القيصر — واذل مجد الحرب غليوم



الصراع المقدس

٣٣

الألم

١

الالم جبار معنوي — يحرك الهمم فتنشط ، و يثير العزائم فتعمل — لذلك تشع انوار مدنيتنا من احتكاك الآمناه.

لان الضمير ، والارادة ، والسعادة ، والشقاء ، والالم — سلسلة حلقاتها متينة ، ودائراتها مترابطة متصلة — ترافق الحياة ما دامت الحياة الى ان تصبح سيارتنا — قطعاً موزعة ، وشمسنا جذوات متفرقة

٢

عندما يأتمر — معهد شورى الدماغ ، او مجلس نوابه ، او لجان اختصاصه — على امر او مطلب او رغبة : عندما يأتمر ويحكم — فالحكم هو الضمير

وعندما هذا الضمير ينفذ او يرغب في التنفيذ — فتنفيذه او رغبته الضميرية — هو او هي — الارادة

والارادة ذات المطاليب الكثيرة ، والرغبات الوافرة ان لم تعلن

« اريد » صياحا فانها في داخل الدماغ تسر قواها « اريد » همساً

فان تحققت « اريد » ونالت ما شاءت اشرق وجه صاحبها ورفع رأسه وقال « اني سعيد »

وان عجز ولم يتمكن قطب حاجبيه ، ورفس الارض برجله او برجليه وقال « اني تعس » فالسعادة والشقاء مصدرهما الارادات التي تتحقق والارادات التي لا تتحقق

٣

اذا حققت وقتاً استزاد « اريد » ارادات اخرى — لان اوسع ما في الدماغ الانساني امانيه ، واكبر ما في مقدمة الرأس — اماله ورغباته ، وخيالاته الذهبية واحلامه اليومية ، واعلى ما في قمته مملكته الانانية المتعجرفة المعروفة (بانا)

هكذا الانسان اذن

ان نال طلب المزيد فتألم في مساعي الاستزادة

وان لم ينل تألم واعتبر الألم صحراء شقائه التي لا ظل شجرة يستظله في بيدائها — ولا يعيش ان لم يسرع فيخرج من قيظها وتيهها

فالانسان امام انصاب اراداته المتحققة · واراداته الخائبة مجاهد يضحي ليسعد حيناً و يشقى احياناً

فالشقاء والالم توءمان تمخضت بها الحياة العملية وولدهما الشعور العقلي ، فما زالت الحياة متحركة بهذا الشكل الراقص الجذاب

فالارادات عاملة ابداً

وما زالت الارادات عاملة فالالم مستمر و بواعثه متعددة

٤

اذن الالم الذي نسميه شقاء هو من مادة الحياة من مادتها الجوهرية الدماغية ، واليافها العصبية

وكلما ارتقى الانسان في مملكة الشعور ازدادت امانيه ، وكثرت رغباته وعظمت اراداته . وارق الناس احساساً ، وارقهم شعوراً ، اكثرهم ارادات لذلك يظهرون بألمهم الشديد ساخطين فمسخطين = فثواراً محاربين

فالحياة حرب دائمة الاستعار بالارادات والامها

الشعور الحساس يعدها معارك ، والارادة اما تنفذها منتصرة ، واما تعجز عنها مندحرة فيسعد صاحبها تارة ، و يشقى متألماً طوراً و بين تقلبات السعادة والشقاء — يروض شعوره و يقوي عقله ، و يمرن جسمه

تألم الانسان من جهله — قديماً — فعلمه الالم العمل — والعمل ولد العقل

وتالم من ظلم حكامه و كهانه عندما اجتمع وحكم او أستعمر — وتضخم المه فاعدت آلالام المجموعة — الثورات — فكانت الانقلابات

هكذا اثبت الالم انه امام الاساتذة للانسان — هذب وحوّل .

ومرن ، وقوي ، فدفع للعمل ،والزحام ،والسباق ، والتفوق ،والثورة: والاكتشاف ، والابداع ،والصراع

وهل المدنية بشكلها القديم والحديث غير زحام ، وسباق ، وتفوق، وثورة ، واكتشاف ، وصراع ؟ ؟ ؟

اجل . انها لكذلك

وان مدنيتنا من احتكاك الامنا تشع

* * *

ثلاثة اقانيم

في شخص واحد = وفي كل شخص

١

في شخصك يا قارئي ، وفي شخصي ،وفي شخص كل من انتصبت قامته . وعرضت اظفاره ثلاث امارات . او ثلاث ممالك . هي ثلاثة اقانيم في كائن واحد . تدعوها . وادعوها . ويدعوها

انا

الامارة او المملكة الاولى : هي الذاتية الحيوية

الذاتية التي تتجلى بالتنفس ،والحركة الدموية،والضربات القلبيـة، وتتمثل بالجوع او العطش او الشبع او الري . الاعتـلال او الصحة .

هذه الذاتية الكريمة . لا اعتزم البحث بها احتراما لعلم الطب الذي خصها بمجلدات . وللاطباء الذين انشأوا لها معاهد متعددات

٢

الامارة او المملكة الثانية : هي الذاتية العاطفية اوالعملية التي يفهم بها الاقنوم الثاني للشخصية المقدسة

وهذه التي يشع منها و يفهم بها : السرور والحزن . الحب والبغض

الرقة والقسوة . الكبر والتواضع ، العشق والخلو . العفة والدعارة . الشوق والسلوان . الطمع والقناعة . الثورة والسكون . الدفاع الشخصي . الحب الجنسي . حب الامومة والابوة الخ . . .

٣

اما الامارة والمملكة الثالثة التي هي الاقنوم الثالث للشخصية الواحدة

الامارة التي هي خلاصة الجمال العملي والعالمي . وبهاؤه . حكمة الحياة ومادتها

المملكة التي اغتسلت بجميع عطورات الحياة . وتطهرت بكل بوتقات الاختبارات . فكانت اعطر من العطور . واطهر من الطهر

المملكة الجميلة التي ليست وجهاً لطيفاً . او قامة هيفاء

المملكة التي ليست خطابا . او كتابا او علما

ليست امرأة فاتنة . او بناية فخمة . او باخرة ضخمة ، المملكة التي ليست كل ما ذكر . وكل ما ذكر هو من اشعتها

المملكة الثالثة . ذات العرش الذهبي الامبراطوري . المالكة خالدة سعيدة

الاقنوم الثالث الذي يمزج روحه بكل عظمة تكوينية فيدعى بروح قدس الوجود ، هو الذاتية الثالثة العاقلة . المعروفة بالقوى التفكيرية

الذاتية التي تبحث . وتقابل . وتنظم . وترصد . وتدقق . وتبدع . وتوجد . وتكوّن

٤

الموظفون والسياسيون — تدول دولهم فينقلبون
القواد يسقطون تحت طائلة العقاب فينفون . و يعدمون
الملوك والامبراطرة — يخلعون و يحاكمون
الممالك تضعف وتهرم وتزول — اما الذاتية الثالثة . فمملكتها ابدية دائمة — لا تزول
منذ اعلنها سقراط و بايعها المفكرون المولدون
منذ ذلك التاريخ توجت ولا تزال على عرشها — الى يوم يحولون و يكونون — و يعودون فيكونون و يحولون
فلا مملكة حقيقية غير مملكتها ولا مجد غير مجدها

. . .

هكذا تتجلى الاقانيم الثلاثة في شخصية الانسان الواحد — كما تتجلى في الله المبدع ليصدق ما جاء بلسان نبيه الكريم « انما خلق الله الانسان على صورته ومثاله ! ! ! »

٥

كل ذاتية من هذه الذاتيات الثلاث — هي مملكة مستقلة — لها

ادارتها ولها شرائعها · ولها انظمتها · ولها مجلس نوابها · ولها جنودها

هي مستقلة استقلالا ذاتيا اداريا · ومتصلة بغيرها اتصالا اقتصاديا مكينا · وسياسيا ثابتا. (كادارة واستقلال الولايات المتحدة مثلا ! !)

. . .

وكلما تحسنت علاقتها ـ وتنظمت وتكاتفت

كما فعل ذلك ـ عظمت سيادتها وارتقى شأنها فمثلت افضل مملكة -- انا الانسانية

٦

المملكة الاولى او الذاتية الاولى الحيوية ـ يتمتع بها ليس الانسان فحسب — بل الحيوان ايضاً :

تجري الحركة الدموية في جسمه بدقة ـ ويضرب قلبه بانتظام ويشعر بالجوع والشبع ـ العطش والري ـ الاعتلال والصحة

تعمل عملها في الحيوان دون استشارة الذاتية الثانية

وفي الانسان ـ تعمل وظيفتها دون استعلام او استفهام او استشارة الذاتيتين -- الثانية والثالثة

والمملكة الثانية التي هي المملكة العاطفية — يتبين الحيوان منها طريقته الواضحة: فيحب ويكره. يغضب ويرضى ـ يثور ويسكن ـ يتعشق الجنس ويضحي لاجله !! ... ويحب الامومة والابوة ويدافع عن شخصه ببسالة ـ وقد تكون هذه المملكة بشخصه اكمل مما هي بشخص

الانسان واقوى

اما المملكة الثالثة التي هي المملكة التفكيرية التحليلية - فالحيوان النذر اليسير من مملكتها - والقوى الضعيفة القاصرة من جنودها — كما لفريق من الناس الذين يعيشون العمر كله في الذاتية الثانية واذا شئت فقل العقل الثاني

ان الذاتية الثانية او العقل الثاني — هي التي تكوّن عقائدنا، واراءنا ومعتقداتنا

وهي التي تقودنا غالباً الى ما تنكره ذاتيتنا الثالثة لذلك نرى فريقاً حتى من العلماء يرتكبون اعمالا منكرة قبيحة متعددة بينما هم يقبحونها انهم بقوة الذاتية الثانية يفعلون

ولو استفتوا ذاتيتهم الثالثة لاعلنت ضلال ما يعملون: وقبحت ما يفعلون

وهذا يدلنا على استقلال الذاتية العاطفية العملية — عن الذاتية التفكيرية التحليلية :

٧

حدثني صديق من اليازجيين قال : حضرت مجلس الدكتور رضا توفيق فيلسوف الاتراك و بينا الحضور يتحدثون بشجون الحديث الاجتماعي تعرض احدهم لمعتقد ومذهب — منتقداً — فثار ثائر الدكتور واهان المتباحثين

استغربت ما سمعت وسالت الدكتور عمن يدافع فضرب يده على

صدره وقال « انا »

ولما انفرط عقد المجتمعين مررت الى جانب الدكتور واعدت عليه حديثه فانكره وقال (اني لا ادافع عما يخالف الفكر والعقل والمنطق . فلما ذكرته بالحادث والفاظه تبعثر قليلا واجاب .

ان الدكتور رضا توفيق لا يدافع عن اوهام ولكن المدافع عنها . والثائر لاجلها ــ انما هو التربية الاصلية التعصبية الفاسدة

ا فكأنه يقول هي الذاتية الثانية ولست انا بذاتي الثالثة . وقد تتحكم الذاتية الثانية باكبر العلماء النابغين العبقريين فبينما يشاهد المتأمل المعتبر بينما يشاهد من اولئك الذكاء اللامع . والفكرة النيرة اذ يشاهدهم يرتكبون الشذوذ يرتكبون المخزيات والمنديات ويرمون نفوسهم في الفضائح

من هؤلاء ـــ باكون .

باكون الذي تفرد في الذكاء على اقرانه . وابناء عصره . وتميز عن نظرائه بدقة فكره وذاتيته الثالثة

هو باكون الذي ــ بذاتيته الثانية ــ طوق تاريخه بالعار . وخطم انفه بالخيانة . فغشي المفاسد . وغمض الاحسان .

لقد تقرب من الملكة اليزابت رغبة في الوظيفة

تقرب بخيانة اكبر محسن اليه الكونت ايسكس وكانت تلك الخيانة مسببة لقطع رأس الكونت

ثم واصل هذه الخيانة باخوات لما نخان اعز الناس عليه وافضل

مساعديه . واخيراً خان وظيفته فظهر لصاً

ثم كتب معترفاً بكل ما ارتكب فابعد عن الوظائف وحكم عليه بالسجن المؤبد

ومنهم جان جاك روسو الشهير صاحب الاثار المفيدة والكتابات الخالدة الذي تنوق في البيان — ووضع اصول التربية الجليلة للعائلة

هو نفسه بذاتيته الثانية خالف ما سطر وكتب ورمى اولاده في الملاجيء

وميرابو — رجل فرنسا في ايام الثورة الذي كان يسحر الالوف ببلاغته ويقيم الملايين ويقعدهم بخطابته ويتلاعب بالناس تلاعب الولد بالكرة

ميرابو نفسه عجز عن لجم ذاتيته الثانية فقيل انه سيء السمعة — وسوء سمعته حديث طويل ذكره ديماس في تاريخ الثورة الفرنسوية ثم اعتذر عنه قائلا (ان الدماغ الكبير الذي يسع كثيراً من الفضائل يسع كثيرا من النقائص ايضاً)

بعد ما تقدم احس بصور شخصية عديدة تمر امام حافظة قارئي — وانه يذكر عشرات من معارفه يفعلون خلاف ما يعتقدون :

يقولون بالتساهل ويتعصبون

ينادون بالصدق والامانة — ويكذبون و يخونون

ذلك لانهم يقولون و ينادون بذاتيتهم الثالثة و يفعلون بالثانية

٨

ليست الاقانيم الثلاثة او الذاتيات الثلاث او الممالك الثلاث • مستقلة بما ذكرت فحسب بل هي مستقلة في ذاكراتها ايضاً

ان ذاكرات القوى التفكيرية العاقلة او الذاتية الثالثة — هي غير ذاكرات القوى العاطفية العملية — الثانية

فبينما تتجلى ذاكرات الاولى قوية تتمثل ذاكرات الثانية ضعيفة سريعة النسيان

لقد حفظت الاولى مجلدات • حفظتها قرونا متوالية ، حفظت الفيداس — كتب الهنود المقدسة الضخمة المكتوبة باللغة السنسكيرتية قبل اكتشاف الكتابة وتعلمها

حفظت اناشيد هوميروس وقصائده - اجيالا كما حفظت مزامير داوود • وكما حفظت قصائد الجاهلية في العرب • الخ • •

حفظتها قبل ان تعرف اللغات مكتوبة او محفورة او مسطورة او منقوشة • اما ذاكرات العواطف فسرعان ما تنسى

ولو كانت تذكر الامها ومصائبها الى عهد طويل كما تذكر الذاتية الثانية محفوظاتها ورسومها — لكانت حياتنا — حياة الم مستمر وحقد وضغينة على من نصاب بهم او نخاصمهم

وكانت حياة الام بشخصية مجموعها — حياة قتال لا يهدأ ولا يسكن .

سرعان ما نسينا اهوال الحرب العالمية ومجاعاتها

سرعان ما نسي الاوربيون معارك تعصباتهم الدينية

سرعان ما نسي اللبنانيون تآمر بعض كبارهم اليوم على مجاعتهم ايام الحرب

سرعان مانسوا اتفاق رجال وحيهم وطوائفهم مع جمال ومتاجرتهم بالقمح الذي قدم باسم الفقراء ونهبهم الاموال التي وصلت باسم جائعيهم من اميركا

وسرعان ما عادوا يتعصبون لتقاليدهم وطوائفهم بعد ان جمعتهم المصيبة الحربية

سرعان ما نسي الفرنسيون عدوان الانكليز الذي دامماية سنة

لقد نسوا كل ذلك واتحدوا معهم اصدقاء احباء

. . . .

والحقد الالماني الفرنسوي — سرعان ما كان قد طوي في سجل الذاتية الثانية العاطفية - لولم تكن جرائد البلادين تذكيه و تنشره من لحده ، وتبعثه من قبره

ولولا بسمرك المشهور

لولا خطأ ذلك الرجل . بقطعه ولايتين فرنسويتين يكون قطعها الحقد الدائم و يشير العمر الى كيد كبر الذاتية وجرح الانانية

لولا خطأ بسمرك وجهله للعواطف الشخصية الشعبية — لما سيرت فرنسا جيوشها الى الاستقتال . ولما ضحت الام ما ضحت من الشبان والقوى والمال

٩

— ليعتبر المطالع والمفكر

ليعتبر بنتيجة اعمال الذاتية الثانية فاذا ما اعتبر وفكر بذاتيته الثالثة شعر بضلال العقل الثاني عندما يعمل مستقلا عن العقل الثالث

ان العقل الثاني الذي هو الاقنوم الثاني من اقانيم شخصيتنا الثلاث يتحكم بجميع اعمالنا اليومية فيستعمرنا و يستبد بنا

يضرب علينا الضرائب والمكوس . ويسخرنا و يسن لنا الشرائع ، و يوقعنا في الاشراك والمصائد والمكائد ثم يقول باستقلالنا

١٠

في ابتداء اعمالنا تشترك غالباً الذاتية الثالثة مع الثانية وتناصرها عندما نبتديء مثلا في تعلم القراءة او الصناعة او الفن او الموسيقى التي هي من فروعه تشتغل الذاتية الثالثة مع الثانية فاذا اتقنت الثانية عملها اصبح المتعلم يقرأ قراءة صحيحة بالعقل الثاني ، بينما هو يفكر بموضوع اخر بالعقل الثالث والعامل يشتغل صناعته باتقان وتطيع اعصاب يديه عقله الثاني . بينما العقل الثالث يشتغل بموضوع اخر ويباحث شخصاً اخر : فتاة موسيقية تضرب السوناتة البيانو بدقة وتحرك اصابعها حركة منتظمة

٩٧

بينما عقلها الثالث . يباحث حبيباً و يبني في الهواء قصوراً

جلست احداهن الى البيانو تطرب الحضور بدقة رائعة . ومنتظمة

اما المتأمل في وجهها وتلاميح فراستها فكان يشاهد حزنا والماً ودموعاً تتماوج في الاهداب

وما هي ان اكملت الضرب حتى اجهشت في البكاء . ذلك انها كانت تلعب على البيانو وتداعب السنته المتعددة وهي تنظر الى قفص قبالة البيانو يحتضر بين شريطه العصفور الغرد الذي كانت الفتاة تحبه

لقد كانت تلعب لعباً مطرباً بعقلها الثاني اما عقلها الثالث فقد كان يتألم للعصفور الغرد ولما مات اغمى عليها

١١

اما ان الذاتية الثانية تؤثر علينا التأثير الشديد وتستعمرنا وتستبد بالثالثة كما ان الذاتية الاولى الحيوية تتغلب على الاثنين في معظم حياتنا العملية فلان الثانية اصل للثالثة كما ان الاولى اصل للثانية

كل ذاتية تولدت من التي سبقتها كما تولد النبات بواسطة الجماد والعناصر الاخرى . والحيوان من النبات وما تولد منه النبات . والانسان من المجموع تولد

فالمفكر اذن يعلم ان في الانسان الواحد ما في الممالك المتعددة والعالم الكبير

وان تربية الذاتيات وترقيتها تحتاج من الحزم والنشاط والجهاد ما تحتاج اليه الممالك

فاذا تفاهم الانسان مع كامل ذاتياته . وتكاتفت تلك الذاتيات بقيادة الثالثة واختباراتها وقياساتها ومقابلاتها عمل العمل الاكبر الاكمل

لذلك يؤكد علماء الفراسة ويثبت علم العقل ان افضل الرجال من تناسبت قواهم الحيوية والادبية والعقلية وبتفاهم الذاتيات الثلاث — تنال السيادة الحقة ، والملك الخالد — ويكوّن الجبار الحكيم

وما ملكية خالدة ابدية غير ملكية القوى التحليلية المبدعة التي هي معشوقة النوابغ والعبقريين

١٢

الموظفون والسياسيون — تدول دولهم فينقلبون . القواد يسقطون تحت طائلة العقاب فينفون ويعدمون . الملوك والامبراطرة يخلعون ويحاكمـون

الممالك تضعف وتهرم وتزول — اما الذاتيه الثالثة اذا اهتدت الذاتيتان بهديها — فمملكتها لا تزول

منذ اعلنها سقراط وبايعها المفكرون المولدون المتبحرون — منذ ذلك التاريخ توجست ولا تزال على عرشها الى يوم يحولون ويعودون فيكونون ويحولون . . .

* * * * * *

٤٩

العدل والحكمة والالوهية

تجليها في ادمغة الرسل والالهة

الحكمة منارة اضاءها الاحتكاك العقلي ...

نعم . نعم ذلك اقرب تعريف لتكيف شروق شمسها في فضاء الدماغ . ولكن .

ولكن ليس احتكاك قوى العقل التفكيري بجده — كما يفهم الكاتبون — العقل ويحددونه — اذ يظنون ان العواطف خارجة عن العقل ونابة عن دائرته . بينما العواطف هي من القوى العاقلة الرئيسية بل هي ينبوعها ومصدرها .

لانها اصل غريزي وهو فرع اكتسابي

اذن الحكمة منارة اضاءها العقل التفكيري باحتكاكه بالعقل العاطفي وما تضمه العواطف من القوتين الجميلتين الطاهرتين :

الرحمة والحب

والعقل التفكيري والعواطف الحبية الرحيمة ـ خصمان يتصارعان ـ في ادمغة النوابغ والجبابرة والحكماء والرسل والالهة ـ امام مواكب الحياة ، وجيوش الجهاد الانساني ـ صراعاً مستمراً

فان تغلب الاول على الثاني ـ فنصرة للعدل
وان تغلب الثاني على الاول ـ فنصرة للحكمة

* * *

عندما قال الكليم ـ السن بالسن ، والعين بالعين
وعندما قال الرسول ـ ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه مثلما اعتدى عليكم .

عندما قال الكليم عبارته ، والرسول آيته فقد قالا عدلا جدياً معقولا

ولكن عندما شهد سقراط و يسوع المرأة الخاطئة ! وقال كل منهما للمضطهدين

« من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر »

وعندما قالا اغفروا لمن اساء اليكم ـ وغفرا بدورهما وفي اشد ساعات عذابهما .

عندما قالا ذلك — فقد قالا حكمة .
وعندما ․ فعلا بقولها — فقد مثلا الوهية .

* * *

هكذا تجلى احكام ـ العدل والحكمة والالوهية .
العقل التفكيري الجدي ـ بالعدل امر
والعقل العاطفي الحبي ـ بالرحمة امر واوحى واوصى

٥١

اما العقل الالهي اللا بشري فقد امر واوحى واوصى وعمل بما امر ، وبما اوحى ، وبما اوصى ....

* * *

الهة الشر

ان الهة الشر التي تمنطق الشقاء وتحمل البؤس اغماراً للناس ، وتنقل الشوك اكاليل لرؤوس الضعفاء لاتجرأ ان تواجه الذاتيات الحكيمة التي تغلبت عليها اكثر من مرة في الحياة .

* * *   * * *

٥٣

التماثيل السبعة

اقترح على نقاش يثمر الفن دماغه ، ويقبل الابتكار يده ان ينقش سبعة تماثيل — تمثل سبعة اخلاق نبيلة .

الفنانون ، والاخلاقيون يتوجون ، التمثال الذي يرمز الى الخلق الاشرف والاطهر .

لحفر النقاش التماثيل السبعة

تقاطيع المعرفة تغضن من اشكالها جميعاً . وتشع من جباهها كلها

اما رمز الخلق النبيل الذي شاء حفره وتمثيله في كل منها فكان هكذا :

في الاول — الحب

في الثاني — الطاعة

في الثالث — العدل

في الرابع — الجرأة

في الخامس — الكرم

في السادس — الاقتصاد

في السابع — الاخلاص

واستعرض النقاش هذه الرسوم في الساحة العمومية العظمى فمرت

قافلات الشعب امامها مكبرة . و بعد مشاهدتها جميعها انقسمت على بعضها فتحولت كل طائفة الى التمثال الذي جذب رمز خانه اخلاقها وتصورت ميوله في تغضن فراستها، وعبر عن عاطفتها — فالتفت حوله —

اذ ذاك مر النقاش امام المتفرجين بسرعة فقال عن الواقفين :

امام الاول — (شبان وشابات ...

وامام الثاني — (جنود متدينون ...

وامام الثالث — (قضاة شرقيون معزولون ...

وامام الرابع — (قواد مكتسحون ...

وامام الخامس — (زعماء مسيطرون ...

وامام السادس — (تجار موسرون ...

ولما انتهى الى السابع مضغ (مخلصون) التي كانت بفمه وانتفض وشهق و بكى لانه لم يشاهد احداً ...

بعد اسبوع وقد نقلت التماثيل الى المتحف وحكم الفنانون والاخلاقيون لامير الاخلاق — بالملكية . وتوج — جاء النقاش يستعرض شخصيته التي حلت بالحجارة حباً ، وعدلا ، وجرأة ، وكرماً ، واقتصاداً ، واخلاصاً فوجد ان التمثال المتوج بالاجماع لخلق ملوكي يمثله هو :

الاخلاص

ولكن قبل ان تبرق عيناه بابتسامة الفوز (و يردد فمه) (مخلصون)

من نظره سابحاً في الجماهير فوجدها بغيره من التماثيل تحيط ولغيره تقدم القرابين ، اما حول المتوج فلم ير غير اشلاء

— من جبابرة الحق والنبل والسلام والحكمة والحب — مصروعة فانتفض ، وشهق ، وبكى ، لانه لم يشاهد من الاحياء احداً .

* * *

المصائب والحكيم

المصائب والويلات تنحدر وتهاجم الحكيم بالحماسة التي تهاجم بها كل انسان من ابناء ادم على انها عندما تطرق باب الحكيم و يفتح لها تقف تحت الاسكفة محدقة مبهوتة ثم تخشع خشوع المتعبد — وتعود هاربة فارة .

فلسفة النجاح

تردد اسم رجل في اندية الولايات المتحدة ، وفي معاهدها ، ومدارسها ، وعيالها ، ونشر على صفحات مجلاتها وصحفها باعجاب ودهشة .

ذلك الرجل هو كرينجي المثري الشهير

لقد قالوا :

ان الفتى الكناس الذي خدم في مكتب تجاري اصبح صاحب ملايين .

الكناس الفقير بلغت مداخيله السنوية اربعة ملايين من الفرنكات بخمسة ف . . . .

ان في ذلك لغرابة لغير المستغربين

وذهب الباحثون والمحدثون في طريقة غناه مذاهب زادت عن مذاهب سكان الكرة الارضية

زادت عن المذاهب الدينية ، والمذاهب الفلسفية ، والمذاهب السياسية

ففريق زعم — انه وجد كنزاً

وآخر — ورث من نسيب « بعيد » ثروة

وآخر — وهب — لخدمة قام بها = ارضاً ذهباً

وآخر — الاعجوبة الحية —

وكان اشد الناس حماسة في البحث عنه النساء . والمال يشغل

افكارهن ، كما يشغل الحب قلوبهن

ودوى الحديث في آذان طلاب العلوم وكتبت اقلامهم اسمه ، وتصور في مخيلاتهم رسمه — فهب بهم الشوق الى معرفة سر غناه — وفتيان هذا العصر كالنساء يرغبون في معرفة كل غامض ، واكتشاف كل سر

بعد ان استفتوا اساتذتهم ، واستعلموا من كتبهم في الاقتصاد السياسي ساروا الى كرينجي يسألونه ازاحة الستار عن سر الغنى ومفتاح الثروة ، وفلسفة النجاح وحكمته فقال ببساطة التاجر :

« تجويد عمل اليوم الحاضر عن امس الغابر »

« تحسينه وان تحسيناً طفيفاً »

« الشغل بنشاط ومعرفة »

هذا هو سر العمل وفلسفة النجاح ، واستشهد

منذ ثماني عشرة سنة عرفت شابا يبلغ الربيع الخامس عشر من سني حياته . هذا الشاب كان ينقل الماء ليسقي العمال

ابتهج العمال ببرودة امواهه وعذوبتها . فاحبوه واحترموه وكل من يعمل عمله ويجوده — يحب ويحترم

وعرف به مدير الشغل فاستخدمه في مكتبه فقام بواجب المكتب بحماسة واتقان

هذا العامل البسيط ساقي الماء ، ومستخدم المكتب اصبح اليوم

٥٧

مدير شركة كرينجي يرأس ستين الف عامل :

تخرج الطلبة وبافواههم :

نصبح كرنجيين مالا ، وشكسبيرين علما ، ووشنطيين حرية ، وزغلتيين جرأة وسياسة

بتجويد عمل اليوم الحاضر عن امسه الغابر

بتحسينه وان شحينا طاقتنا

بالشغل بنشاط ومعرفة ... واخذوا يصفقون بايديهم طربين ضاحكين

هذا هو سر النجاح قد اكتشفناه

وهذه فلسفة الرقي والثروة والعلم قد عرفناها ..

* * * *
* * * *

٥٨

سيدة الجبابرة

١

سيدة الجبابرة
ربة شرائعهم
الهة مفكريهم
اعز من الولد ومن الاب والام
اشرف من الارض ، والملك ، واللغة ، والدين ، والمال والاوسمة
اجل انها لكذلك — وفوق ذلك
انها اعز واشرف من المعشوقة الفاتنة
انها اعز واشرف من الحياة — العزيزة اللامعة — نفسها

. . . . .

ملايين الجيوش تحت لوائها — تزحف ، وبابطالها الامم تفاخر .
وبفضائلها المشترعون يعظمون ، وبتحليلها الفلاسفة يخلدون
ولاجلها يموت الاباء ليحيي الابناء
ولاجلها يموت الملايين ليعيش الملايين
لاجل تلك الراقصة في دماغك ودماغي . والباكية في عينيك

وعيني ـ ابدا ـ يفعل كل ذلك
فلكي تفهمها وأفهمها دعنا نخال ونفتش
اني اصورها بسرعة فاتبعني :

٣

لنفرض ان الحرب اعلنت في الغد ـ ضد اي وطن من الاوطان ٠ وان غداً يوم الصدام الرهيب حيث يزحف العدو بخيله ورجله ٠ بحديده وفولاذه ٠ بدباباته وكرات مدافعه ٠ بدهاء قواده وجرأة ابطاله ٠

لنفرض ذلك ٠ ونسأل ما الذي يدفع الشبان وابناء البلاد لحمل السلاح والانتظام في جيوش التضحية ٠ والسير لميدان الحرب ؟

ما الذي يثيرهم للقتال ؟

ما الذي ينفخ في صدورهم الحمم ؟

ما الذي يشعل ادمغتهم بنار الاقدام ؟

ما الذي يحرك جوارحهم — ويقسي عواطفهم فيتركون الوالد والوالدة — المرأة الفتية الحبيبة — الاخت العزيزة — الولد الصغير الجميل — الاخ الشقيق — المعشوقة المفداة

ولماذا يسمح الاباء والامهات — والزوجات — والابناء — والمعشوقات — لقطع اكبادهم — وسلوة حياتهم وامنية افكارهم — لماذا يسمحون بهجرانهم وتضحيتهم

ولماذا يرضخ العلماء والادباء والخطباء والصحفيون الذين هم قادة

الرأي العام و يقبلون ان يسير نخبة رجال الوطن وعماله الى الساحة الحربية ... لماذا . لماذا ... ؟ ؟

٣

لنقل لاي اب ولاية أم

لنقل لفردهم — ان ادفع لنا ولدك - سلمه للقتل الفظيع ولك قبالة تلك الدفعة وذلك التسليم - الوسام المرصع الذهبي - تزين به صدرك

لنقل للوالد ام الوالدة — ان حياة ولدكما لنا — ومنصب رفيع لكما - امارة ذلك المنصب

قدما ولدكما للمحرقة النارية فنهبكما ذهباً ودماجا - عشر وزنات بعشر - ليكن تحت مطلق تصرفنا فنهديكما ارضاً ولتكن تلك الارض ولاية كاملة .

الحق الحق اقول لك ايها القاريء وبلسانك

كل والد ووالدة ترفض مشمئزة . لا بل كل اخت واخ وولد يستقتل قبل التسليم مضحياً

كل يرفض وجميع سكان البشرية يرفضون

اذن .

اذن . لماذا يسير الناس للحرب - لماذا يقبلون بهمة ولذة ونشاط على الموت لماذا يرضون بتضحية الحياة - وهجران الاب والام والاخ والاخت والعشيقة والولد ...

٦١

ولماذا يرضى الاهل بذلك ـ و يشجعون و يفاخرون ـ بعد ان رفضوا الوسام والمال والمنصب والارض وو . . .

. . . .

٤

يرضون بذلك ـ لان في تلافيف ادمغتهم ـ امنية فوق الحياة نفسها امنية اعز من الاب والام والاخت والعشيقة والولد

فما تكون تلك الامنية ؟

اتكون الارض التي ولدوا عليها ؟ وفي مطاوي طبقاتها الجيولوجية دفنت رفات ابائهم واجدادهم ؟

ان المصريين والارانديين والبولينيين واهالي الالزاس واللورين والبوير ـ لم يفقدوا الارض التي ولدوا عليها ودرجوا وشبوا بين ظلال اشجارها ، وسمعوا تغاريد عصافيرها ، وخرير ماء جداولها . ولم يفقدوا مخبئات طبقاتها الجيولوجية حيث بقايا اجدادهم المقدسة

اذن . ماذا ؟

اوحدة اللغة تلك الامنية ؟

ان لغة الولايات المتحدة هي الانكليزية . هي لغة بريطانيا التي كانت تستعمرها وتحررت الولايات منها

ان لغة جمهوريات اميركا الجنوبية هي الاسبانية . لغة المملكة الاسبانية التي ثار عليها الاميركيون ورفعوا عن مناكبهم اثقالها

وان اهالي سويسرا يحسنون ثلاث لغات واربع وسكان الالزاس واللورين = الالمانية مع الفرنسوية

اذن . ما هي تلك الامنية ؟؟

اتكون الوحدة الجنسية او وحدة السلالة ؟؟

ليس بين سكان الاوطان من يكترث لذلك ؟؟

ان ابناء اميركا مزيج من جميع شعوب الارض . من القارات كلها ومن الاوطان جميعاً

وان اهالي الالزاس — ذاتها — هم بتركيبهم الطبيعي وتقاطيع فراستهم اقرب للالمانيين منهم للفرنسويين

اذن ليست الارض ولا السماء — اعز من الحياة

ليست الوحدة الدينية لان في كل وطن من اوطان العالم مذاهب متعددة ؟ واديان مختلفة واكثرها في الولايات المتحدة

فالوحدة الدينية ليست اعز من الحياة

كما انها ليست اتحاد الحكومات ؟ واتفاق المصالح

كل هذه ليست الامنية العظمى التي ترجب تضحية الحياة . ليست الامنية التي — اكراماً لها — يسلم الابناء والامهات — ابناءهم للموت

ليس شيء من ذلك . ولا يرضى فرد من ابناء هذا العصر ان يموت اكراماً لهذه السخافات ، بعد ان مات اجداده في عصور الظلمة

حبا ببعضها ؟ وجهلا لحقيقة كيانه

٥

ان تضحية الحياة = يجب ان تكون لامنية افضل من الحياة نفسها
اعظم من الاهل ، اشرف من الاديان والعقائد
يجب ان تكون لواجب ادبي ملوكي
يجب ان تدور حول سعادة المضحي والمضحى لاجله ،
لاساس الشرائع . وحجر زاوية العمران
لقوة الحق والواجب ، حيث تنبثق اشعة العقول النيرة
لحقوق الشعوب ، ومجموعها . لربة الشرائع . والهة المفكرين

. . .

فما تكون ومن تكون تلك الجبارة الفاتنة التي تعشقها الناس اكثر من العشق وفوق الحياة ، من تكون تلك المعبودة المقدسة . ؟ . .

٦

ان تلك الجبارة الفاتنة المقدسة

هي الحرية

هي الحرية بحقوقها الشخصية . والسياسية والاجتماعية والدينية . .
ان الحرية وحدها اعز من الاب والام والاخت والمعشوقة والولد .
انها اعز من الحياة نفسها

لاجلها يموتون فيحيون

يموتون لكي يكون لهم الحق بان تحفظ كرامتهم كمواطنين

لهم الحق بان يسيروا كيف شاؤوا في وطن شرائعه — عقولهم — اشترعتها

لهم الحق بان يعملوا اعمالهم ، ويمتلكوا املاكهم دون ان يقبلوا ضريبة عليها وعليهم سوى الضريبة التي تتوازن مع مصاريفهم ومداخيلهم

لهم الحق الحر بان يدرسوا ويدرّسوا اللغة التي تطربهم

لهم الحق بان يرفضوا كل شريعة يكون مصدرها غيرهم . ان جاءت تلك الشريعة مما وراء الطبيعة او قلب لندن او واشنطن او برلين او ..

لهم الحق ان يكتبوا ما يريدون ، ويخطبوا على منابرهم ما يشاؤون و يعتقدون

يكتبوا و يخطبوا — كما تقتنع عقولهم ضمن الشريعة التي سنوها انفوسهم لا كما يريد سواهم

لهم الحق ان يكونوا احراراً — وكل مؤامرة على الشخصيه الحرة ترفض — وترفض بخشونة

لا بل . يفضل الموت على قبولها

لان الشريعة التي لا يسنها ابناء الوطن لانفسهم تستعبدهم وتجر وراءها مئات الشرائع التي تقتل حق الحرية

الحرية التي يموت المواطنون لاجلها

لذلك يفضل الناس الموت في المعمعة الحربية على فقدان حق الحرية

٦٥

فالرجل اذن يموت لاجل حريته و يفضلها على ابيه وامه واخته ؟ وعشيقته وولده لانه اذا فقد حريته فقد كل شيء

اذن حقيقة الوطنية . وحقيقة الاستقلال هي حق الحرية

فاذا كانت الحرية اعظم من الاهل واقدس من الحياة افيحق لوطني ان يستعبد مواطنه باسم العقيدة او الزعامة او السلالة او المذهب او الاكثرية او الاقلية

ان بلاداً يفكر فريق من الناس او افراد او طوائف او احزاب ـ ان يستعبدوا حرية فريق او افراد او طوائف او احزاب اخرى

ان بلاداً يفعل بها ذلك لا تحب ولا يضحى لاجلها ولا يتفق سكانها . ولا يتحد ابناؤها لانها ليست وطناً

ان الوطن هو المساواة . وفي المساواة كل فلسفة الوطنية

٧

فالفرد الذي يطلب في وطن امتيازات ليست لغيره من الوطنيين . ـ مهما كانت تلك الامتيازات ـ

ان كان ذلك الفرد من البطارقة او المفتين او الحاخامين او المشايخ او الامراء او الزعماء

ـ ان من يطلب ذلك يعد خائناً لا وطنياً

والطائفة التي ترمي اليه تعتبر خائنة لا وطنية

٦٦

وما استعمر غربي اقليماً في الشرق لولا اولئك الافراد، وتلك الطوائف لولا تلك الطوائف التي اعتبرت نفسها سيدة وما سواها عبداً لما وجد في الشرق انكليز وفرنسيس و . . . .

واننا لنستعمر الى يوم القيامة !! اذا اعتبر العبيد الذين تحرروا منذ سنوات . انهم اسياد البلاد . وان الحاكية لهم . والقوة بيدهم . والرئاسة لشخصياتهم

ان سيدة الجبابرة . ربة الشرائع . الهة المفكرين التي ملايين الجيوش ـ تحت لوائها تزحف . و بابطالها الام تفاخر . و بفضائلها المشترعون يعظمون . وبتحليلها الفلاسفة يخلدون ـ يجب ان تحفظ لنحفظ . وان تكرم لنكرم — وان تعم بواسطتها المساواة لنكون بشراً ونكون وطنيين

* * * *

٦٧

العالم — شخصيتنا

١

الشعور الذي يتمشى — متألماً او طرباً — بشخصية المرء — رجلا كان ذلك المرء او امرأة

ذياك الشعور يلبسه صاحبه باردية اثوابه المهدبة للشرائع والنظم والكائنات وافراد الناس جميعاً

فاذا ظلم — او ظن انه ظلم

واضطهد — او تخيل انه اضطهد

وخانه افراد — او قدر انهم خانوه

* * *

واذا أنصف — او ظن انه انصف

وكرم — او تخيل انه كرم

وضحي لاجله وعشق — او قدر انه ضحي لاجله و عشق

اذا فعل معه ذلك — اكد واعلن ان الشرائع والنظم وافراد الانسان جميعاً — اعدوا عدة المصائب لقتل سعادته . واجمعوا علي امتهان عقليته

او انهم هتفوا اكراماً لمنزلته واحتراماً لذاتيته

٢

تألمت شخصية جبران من شر او شريعة وظلمت من افراد من الاكليروس فقال ان المجتمع شرير. وشرائعه ضالة والاكليروس جميعاً = ظالمون

وتألمت شخصية المنفلوطي من امرأة اسفرت فعاشرت فخانت فكتب واكد ان كل من تسفر فتعاشر ـ تخون

واضطربت عواطف جان جاك روسو الشخصية. او حزنت . فمثل محيطه بكامله بكاء ونوحاً = فخيانة في الاعمال فرجعية في الافكار

وطرب شعور جان بول فصور مجتمعه نظاماً ونبلا ووضوحاً وهناء ومحبة

اشعة بعض الحوادث التي تتسلط علينا شخصياً تعكسها شخصيتنا على المجتمع والوف ذاتياته

٣

تلك هي غرابة الشخصية التي تكيّف الكون بما في شكلها وحجمها ولونها وخطوطها كما يكيف القدح الزجاجي الماء بشكله وحجمه ولونه وخطوطه

ان حلقت الشخصية مرتفعة سابحة على اجنحة الطيارة في قلب الاثير وان انحدرت هابطة الى اقبية الانفاق في بطن الارض

وان سارت في العواصم الكبرى او تنقلت في المزارع الحقيرة ـ انها حيثما تذهب لا تشاهد سوى شخصيتها في الاثير اللطيف ، والنفق المظلم والعاصمة الفخمة، والقرية الحقيرة

انها لا تشاهد سوى شخصيتها بكل ما في الشخصية من الرفعة والضعة الحب والكره ، الامانة والخيانة ، التمرد والاستسلام ، الحكمة والجهل، الكبر والصغر

* * *

لو دخل امثال الاسخريوطي الى المعبد ليصلوا — انهم في المعبد يعدون الخيانة

ولو زج مضارعو ارسطو في الخمارة بين السكيرين والمعربدين انهم — في الخمارة يبيئون مدرسة حكمة، وهيكل تعليم

ذلك ناموس من نواميس الشخصية وغريزة من ملكات الاخلاق ما خالفها مخالفة مكبرة فخمة سامية مؤلمة — من ابطال الفكر وجبابرة الحكمة مثل :

سقراط وهو يشرب السم ناصحاً معلما .

وغليلو وهو يقدم عنقه للنطع دوران الارض — مثبتاً مؤكداً

والمسيح وهو معلق على الصليب — مضحياً غافراً

وربما مثل ذلك الناموس وتلك الفضيلة — بعظمة متوجة في

٧٠

مواقف محترمة رهيبة من حكماء غير من ذكرت ولكنني لم اعرفهم . او لم أتتلمذ لهم . او انهم لم يولدوا بعد ...

* * *

. لا تحبه !

اذا كانت عقليتك او نفسك مختمرة بالحسد ، والكره ، والنميمة ، والثرثرة ، والكذب ، والاختلاق ، والاغتياب او بالضعف والجبن والقصور فاكفر باية المسيح — حب قريبك كنفسك — لئلا تحب في قريبك الثعالب والعقارب والحيات التي في نفسك .

* * *

٧١

الذكاء والنبل العاطفي

١

الذكاء المتلالىء — الذي يتمثل منارة بالعقلية الشخصية . ويتجلى كواكب لماعة بالعقلية الشعبية .

هذا الذكاء — ان اخضع الناس لمشيئته — ليعملوا آلات مسيرة بارادته ، وان استهوى المستضيئين بنبراسه ليؤمنوا بقوة سلطانه

هذا الذكاء الملكي — اذا لم يسكب في بوتقة العاطفة النبيلة و بها ينقى و يطهر . او كما يقول الكاتبون المتمذهبون = بالقلب

اذا لم يصف بدم القلب المخلص و به يتجوهر

اذا لم يفعل به ذلك — وان عظم سلطانه ، وسادت دولته — فهو شر ذكاء

٢

اللص الذي يفتح الابواب بسهولة ، و يخدر المسروقين بدهاء ، ويجمع اموال وامتعة سرقته بخفة — ذكي هو .

الغني الذي يغنم ضعف المحتاج فيسلفه و يتسلط على ملكيته برأس المال وفائدته الباهظة — فلا يشفق . و يتاجر بتعب مئات العمال

فيستخدم عرق جباههم ولا يشعر — ذكي ونابغة ذكاء هو ٠

* * *

النمام الذي يفسد بين الناس مضللا ، ويتمكن من الافساد امنا —
ذكي هو وامير ذكاء

القائد الذي يجر الالوف الى المعركة متحمسين ويدفعهم الى الاستقتال
مضحين ، ثم يتحكم بهم بعد الانتصار فينصب عليهم اميراً او ملكا — وهم
راضخون

ذكي وعبقري ذكاء هو

٣

كانت ذهنية العصور القديمة او عقليتها حتى العصور القريبة منا
كانت ذهنية نارية باهرة الذكاء شجاعة مقدامة تحسن الدهاء ، وتجيد
السلطة والاستهواء ٠ ٠ ٠ ٠ ولكنها ٠ ٠ ٠

ولكنها كانت ذهنية مغطسة بجرن القسوة والاثرة والتأله —
فامرت بمشاهدة الاغلال في ايدي المنكوبين الاسرى ، وفي اعناقهم
وطربت بالنظر الى رثاثة المهزومين اذلاء في الحروب ، والمغلوبين على
حريتهم واستقلالهم في الاوطان ، و بادت بتقييد الحق في افواههم ،
وسجن الجرأة الادبية في ادمغتهم

انها لذهنية ذكية — تلك

انها لذهنية مستنيرة لماعة
انها لذهنية متسلطة قوية جبارة
ولكنها — شر ذهنية ذكاء
باجادة مثلها تيمور وهولاكو وجنكيز خان = البربريون
و باتقان شخصها نيرون ورجال مجلس التفتيش — الاوربيون

٤

كل هؤلاء ومن ماثلهم ملوك عقل ، وامراء فكر — ولكنهم ملوك غير نبلاء وامراء غير شرفاء .

فرسبوتين الهدام الفضاح كان نبي ذكاء كتلستوي البناء الغفار .

وروبسبيار القوي المضحي — كان ذا عقلية نيرة — كفولتير الحساس الشاعر

وجمال المجوع السفاح — كان آية دهاء كمصطفى كمال المخلص المحرر

ولكن الفرق بين رسبوتين وتلستوي ، وروبسبيار وفولتير ، وجمال ومصطفى كمال

ان رسبوتين وروبسبيار وجمال كانوا اذكياء لا مخلصين او لا عاطفيين — فذكاؤهم شر ذكاء يحقر . و يشقي حتى في القبر .

وتلستوي وفولتير ومصطفى كمال — كانوا اذكياء مخلصين عاطفيين

— فذكاؤهم نبيل شريف يسعد حتى في اللحد ٠

٥

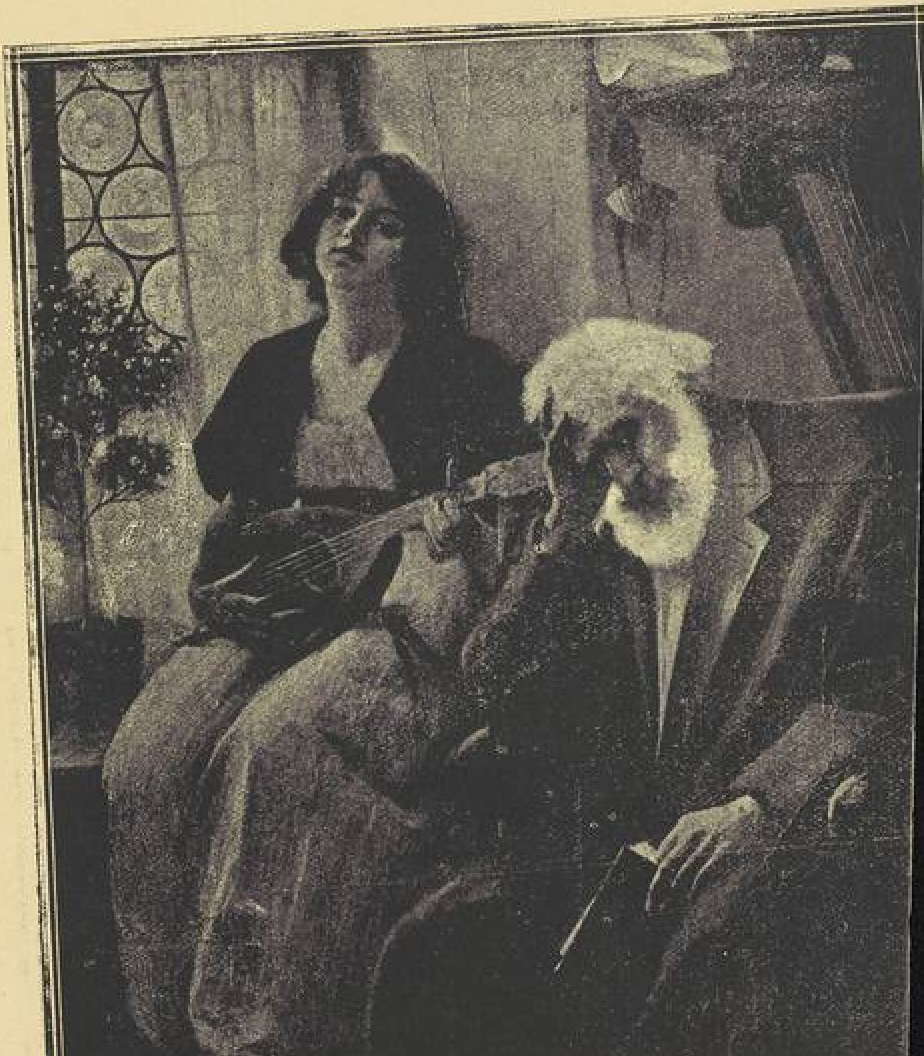
فالذكاء اللاعاطفي وان اثمر العلوم بفروعها والدهاء بدهشته فكان مولوداً من نوابغ المواليد الدماغية ٠

الذكاء ذاك وان انتج ولمع في كل العلوم وعلى كراسي السلطات جميعاً ٠ انه وان انتج ذلك فهو مولود خشن شرير شقي ٠

هو مخلوق متلاعب ضال شيطاني !!

اجل ٠ هو ذلك — اذا لم يطهر ببوتقة الضمير الحساس ، والسريرة المرتعشة ٠

اجل ٠ هو كل ذلك اذا لم ينق بالطوية المخلصة والعاطفة النبيلة ٠



٧٥

الذكرى

جبروت المرأة — وابن نجده؟

١

حركت باعصاب اناملها الغضة الالة الموسيقية ذات العصب المتشنج فتمازج العصبان الحساسان يتغازلان ـ ويتشاكيان ،

وهمهمت نشيد الفتوة ـ همهمة الطائر المفارق فتموجت الهمهمة في غرفة الاب ، ولامست غلاف الحواس منه فانتبه انتباهة موسى الرائعة

انتبه انتباهة موسى على جبل الطور — ساعة التجلي الشاعري المقدس — امام العليقة المشتعلة — والعقلية المولدة المخترعة

وتراخت اعضاء الشيخ ففتح فمه نصفياً ، واطبقت يسراه الكتاب — الذي يطالع ، واسندت يمناه الرأس الملتوي — من ثقل سني الايام ـ الذي به يفكر

واهتزت شفتاه بمنثورات الفاظ . وهمدت ...

. . . .

٢

واخذ صوت الفتاة يرتفع قليلا فقليلا واذكارات الاب تمس بحر

خياله بسعة

تمسه مساً خفيفاً فاقوى فتوقعه رشاشاً متزاحماً يمثل موجات دائرات، متسابقات ـ في محيط الدماغ الصغير ـ الجامع معالم الكبير ٠

حتى اذا بلغت الفتاة الى منتصف النشيد او قلبه عادت شفتا الاب تهتزان ووجهه يتجهم

عادت شفتاه تسران النسيم

« نشيد امها هذا النشيد ٠ اغنية فتوة الوالدة هاته الاغنية ٠ »

ورفع نظره متفرساً في ابنته وقال بسرعة الفكر

« نظرات عيني الام هاته النظرات المسكرات ! لمعان بشرتها على مصباح الليل هاته اللمعات التائهات ! عواطف قلبها الناطقة في فراستها هذه العواطف المتكلمات في وجهها ! »

بلى ٠ بلى هذا شخص الام يوم عرفتها، و يوم احببتها و يوم ملكتها، وهذا جمال الوهيتها مترنمة يوم عبدتها ٠ »

وحول نظره الى الارض بخشوع المتعبدين امام معبوديهم ، وسبح في بحر من الافكار سحيق في قعره ، واسع في محيطه

٠ ٠ ٠

٣

يا لروعة الفكر في تعبده وانتقاله ، و يا لجمال الحافظة في تذكاراتها ، ويا لدهشة الرسوم العقلية في مبدعاتها ٠

٧٧

يروع الانسان فكره فيسكبه في فكر اخر و يقف امام ذاتيته الاخرى خاشعاً متعبداً

يرسم من الوهيته الهاً يتسلى به ويخضع امامه و يتوسل اليه ، ثم ينكر كيانه امام كيانه ، وعظمته امام عظمته ، ومحبته امام محبته . ويستحضره ساعة يريد اذكاره فيخاطبه و يباحثه . وهكذا فعل انطونيوس الشيخ

لقد نسي كايته وهو يباحث كايته التي حلت في شخص امرأته في شخصها الذي بعث بالاذكار وتجلى بالحافظة !

وزاك الشيخ جبهته متسائلا

الذا احببتك ? لماذا عبدتك ?

الانك كنت تغتفرين تصلبي وقصوري ?

الانك كنت تطربين وتشكرين عند تقديمي اليك ثمار جهودي وان قلّ ثمارها ?

الانك كنت تعاشرين الاذكياء والنبهاء والوجهاء والعظماء فتحكمين انهم دوني ذكاء ونباهة ووجاهة وعظمة ?

الانك كنت قانعة ايام البؤس ببؤسنا ، واياماالعوز بعوزنا ، دون ان تنعي كما تدمب الكثيرات ??

الانك كنت اماً وزوجة تدغدغين عواطفي ، وتهذبين فتاتك بقدوتك وعملك ?

٧٨

الذاك ، الهذا ؟

قد تكون هذه الصفات من اسباب اذكاري البليغ ولكنها . ولكنها ليست السر المقدس في الحب

ان ابناء اليوم لم يدركوا مكنونات العاطفة وسر الحب المقدس ادراكا يفوق معرفة الشعراء الاقدمين والمفكرين التاريخيين

ان هؤلاء بحثوا باساطيرهم كثيراً : تذكرت : تذكرت وفتح كتابه وقرأ

« عندما استعرض الجمال امام باريس امير الرعاة والهم . فضل فنيس على ملكة السماوات الهة الجلد وعلى ابنة جوبيتر اله الصواعق مع ان الثلاث كن جميلات — وجمالهن يسكر الشاربين

كن متساويات في تركيب الاعضاء ولين القوام ولمعان النظرات ودلال الحركات

وقد ميزت جينون و بالاس على فنيس في قوى ادبية يظنها الازواج مفاخر

فجينون كانت تتباهى في صلابتها ، وفي عظمتها الملوكية

و بالاس في عصمتها واخلاقها المترجلة

اما فنيس فعن ضعفها كانت تحدث . وعن سكرة الحب كانت تنشد ولهذا نالت الجائزة وحصلت على التفاحة الذهبية

يقول هوميروس ان فنيس تلاعبت بافئدة الرجال واسرعت خفقان تلك الافئدة ، وان زحام العظماء كان شديداً لخطب ودها ولكنها لم

تنتخب زوجاً غير اله القوة لتجمع بين نقيضين: بين الخشونة والرقة · والقوة والضعف · لان القوة تصادم القوة فتتطاحنان

والضعف يتحمل تركيبه مع الضعف فيذوبان

اما امتزاج العقل بالعاطفة فيكون الحياة

ان المتكبرة جينون لم تر شبح سعادة في حياتها العائلية لانها كانت تباهي بتصلبها وتفاخر بعظمتها الملوكية

ومينرفا الهة السماء الزرقاء لم تتزوج مع رغبتها في الزواج و بينما كانت هذه الحكيمة متلهية بمحاربة مارس البطل الجبار

كانت ڤنيس تجاهد لتخلص ولدها من اعدائه حتى اذا انتصرت برقتها على خشونتهم عادت به باكية تشرق بدموعها لان يد حبيبها وولدها تقطر دماً

ففنيس التي تزوجت اله القوة لتسند اليه ضعفها ، وجاهدت مضحية محبة بابنها — هي المرأة التي تمثل جبروت حواء

— هي المرأة التي رغبها الشعراء الاقدمون المفكرون

— هي المرأة التي فهمت سر الوجود الخفي الذي صور رمزه بالجمال والرقة والاخلاص

وصنع مفتاحه بالولد والتربية

وتكون كنهه من · · · · »

وقبل ان يقول كلمة السر · الكلمة التي يفتش عنها البشر منذ ابتداء

التاريخ ولا يزالون . انقطع النشيد فتوقف الشيخ ...

توقف وظلت مكنونات سر الحب والحياة تختلج في صدر الشيخ وتموج في فمه

والسر يظل محترماً ، ومهابا ، ومقدساً ، حتى يكشف و يعرف كنهه

فاذا ما كشف زال احترامه ، وذابت رهبته وسقط من هيكل قدسه تمثاله

* * *

٨١

نسيج القوة

١

عندما يصافح الجبار — عتبة عالم التحول — الذي يسمونه موتاً ويكاد جسمه الكبير يقسم الى اجسام دقيقة تذوب متحللة لتندغم في مواد الكائنات الجاذبة الدافعة المكهربة العاقلة — التي يدعونها جاهلة وتتشف في اثير الشمس الحارة العاملة — التي يظنونها ساكنة هادئة في تلك الساعة الرهيبة — يستيقظ الجبار يقظة الاحتضار الاخير متأسفاً على امنيتين :

على عمل رغب في انجازه — ولما ينجز
وامل اعتقد بتحقيقه — ولما يتحقق !

٢

وان المجموعة العصبية التي هي نسيج قوة الجبار والتي تسوقه الى انجاز الاعمال ، وتحقيق الآمال .

ان هذه المجموعة تظهر مواكب عاملة في كل عضو وكل ذرة من ذرات الكيان . وان اختلفت وزناً و كمية وشكلا

انظرها وانت امام الصغار يلعبون
يجمعون قبضات الرمل باكفهم — ليؤلفوا منها جبلا

ويحفرون قلب الارض باناملهم — ليشقوا منه نفقاً

حتى اذا ارتفع الجبل وحفر النفق — نظروا اليهما مفاخرين ثم اسقطوا الجبل ضاحكين ، وسدوا النفق لاعبين

وانظرها وانت في وجوه الفتيان يتسابقون الى الحركة في السباحة والصيد والرقص والقفز

. . .

اما الشبان والرجال والشيوخ فليسوا امام نسيج الحركة والعمل سوى صغار وفتيان كبروا في اعمارهم ، وتكيفوا في اخلاقهم ومعلوماتهم وعقولهم

انهم جميعاً يطلبون العمل وان اختلفت امنيته ونتيجته حتى الاغنياء .

الاغنياء الذين لا يشتغلون للمجموع يعملون . يعملون وان بالغناء ، والمقامرة ، والرحلات ، والازياء والمضاربة . والحزوبة . انهم يعملون وان شراً .

وفي اشد حالات الانسان ضيقاً . في حالات الحزن ، والنفي ، والسجن — يطلب ان يعمل وان يفكر وعندما لا يعمل ييأس .

٣

واذا كانت السماء التي تخيلها الشعراء جنة جمال وسعادة . بانهارها وعسلها ولبنها ونخفختها وراحتها — لا عمل فيها ولا شغل .

اذا كانت كما صورها الالهيون عبادة وخضوعاً فحسب — فهي العذاب بكل انواعه ـ العذاب الذي لا حدّ له .

وهي الالم بكل تلافيفه . الالم الذي لا يشفى منه .

٤

عندما نفي نبوليون الى جزيرة القديسة هيلانة .
نبوليون الذي قلب العالم في خمس عشرة سنة
كان عندما يتعب من استعراض الرسوم المكبرة : رسوم امجاده الغابرة — يشتغل في تخريب ما رتبته الايدي في منزله — ليعيده الى تشويشه ، فنظامه

و يظل يخربه و يجدد نظامه حتى يخدر عصبه فيرتمي على الارض منهوك الجسم ، خائر القوى .

كان الجبار نفسه يتحادث مع « دبروك » في ايام مجده فقال له محدثه :

يعتقد الناس انك تدين جشع — لا حد لمطامعك ، و بعضهم يقول انه اذا سمح لك بتحقيق جشعك النهم وطمعك التنيني — استعمرت سماء الاله الاب

فابتسم نابوليون وقال :

ان الظانين يخطئون بما يعتقدون — لا اريد افتتاح السماء واستعمارها لاني لا اطلب نفقاً مقفلا — لا مخرج منه .

٥

ابى الجبار عرش السماء — لان في السماء جموداً وسدوداً

واحب الجبار الارض والعوالم — لان في الارض والعوالم حركة وعملا :

حركة دائمة ، وعملا مستمراً — ينسجان القوة بانواعها ، والمتانة باشكالها

من القوى العقلية والجسدية — الى لمعان القوة في الجمال ، والبهاء في الحكمة . الى تجاذب الشموس والاقمار في افلاكها ، والذرات الترابية في تكوين صخورها .

لان — العقل مولد من العمل اليدوي — ولم يخلق في البدء مع الانسان . فاقوى الرجال واذكاهم وانظمهم عقلا هم احفاد العمال . وان الانسان اذا استغنى في المستقبل عن العمل اليدوي الذي يعلم النظام والاتقان واليقظة والفكر والتكافل . اذا استغنى الانسان عن هذا العمل تضطرب البشرية ويعود الانسان فينحط الى الحيوانية . —

فالسلالات التي لا تعمل عملا يدوياً تتدحرج نحو الانحطاط في كل قواها العقلية وسلامة اجسامها وانسالها .

اذن اصح الانسال البشرية واقواها — تلك الانسال التي اهدت العالم نوابغ وعبقريين . فاجلسهم العالم على عروش السياسة راضخاً ، وتوج هاماتهم بتيجان العلم والاكتشاف مكبراً .

ان اصح تلك الانسال

انما هي انسال هاتين القوتين : قوة الحركة : وقوة العمل
والعوالم جميعها سليلة رحميهما ، وابنة تربيتهما
افضلها وامجدها — ما كررت تجربته
واسماها وانجبها — ما انتظمت شرائع حركته

* * *

المتشائمون والمتفائلون

الذين لا يرون في الحياة جمالا هم نواحون
على رووس الاموات يعكرون هناء الاحياء :
النائحة تحزن نفسها ومحيطها ،
والمنشدة المطربة الزاهية — تطرب
نفسها وترقص صدور المشاهدين والسامعين
وتزهي حياتهم

* * *

٨٦

الفتاة المتمردة

تجلي البطولة في عواطف المرأة

١

مي ، فتاة لم تتجاوز الربيع الثامن عشر من عمرها ، وقفت ـ يوم عيد مولد يسوع التذكاري ـ امام مرآتها الصغيرة ، في غرفتها الحقيرة في حي ... من احياء بيروت ونظرت الى وجهها الاصفر ، وعينيها الذابلتين وجسمها الضئيل — وبكت

بكت وشهقت على جمال غض اذابه الجوع ، وجسم مملوء هزله الفقر ، وصدر ناهد مسحه البؤس

وكأن بالاعياد الكبيرة تذكرات أليمة اذا ما حلت رسمت البلاء بسلسلة حلقات فاذا ما فكت حلقة منها تقارطت جميع الحلقات — كذلك كانت سلسلة عذاب فتاتنا في عيد مولد المسيح فانها عند تذكرها ماضيها تذكرت شقيقاً شاهدته في ٢٥ كانون الاول سنة ٩١٦ شاهدته منذ سنتين — بصراً شاخصاً ، وجثة هامدة ممدداً على الطريق الواقعة بين جونية وانطلياس وقد اكلت الديدان جثمانه ...

وتذكرت والدة : مي والدتها رأتها قبالة جثة شقيقها مسجاة ، يداها مفتوحتان كانها اسلمت الروح ساعة اندفاعها نحو جثة ولدها لتضمه

ذكرت . مي . كل ذلك وذكرت اعياد الميلاد حيث كانت تضع يدها بيد اخيها وتذهب لزيارة الطفل في المغارة

ذكرت كل ذلك — وذكرت الوالدة — وحرارة شفتي الوالدة التي كانت تضع على خدها قبلة حارة يوم العيد

مرت تلك الخيالات الدقيقة اما عينيها مرور الصور المتحركة امام المتفرج فارتمت على الارض متثقلة من المتاعب ، منهوكة من الالم الفكري

٢

بعد نصف ساعة انتبهت مي من غيبوبتها على رشاش ماء التي على وجهها ففتحت عينيها فاذا امامها امرأة تبلغ الخمسين من سنها — لا يظهر على ملامح وجهها جمال الفتيات ولا يمثل بتغضن شكلها كراهة العجائز .

استأنست الفتاة بمن شهدت فجمعت قواها ورحبت بزائرتها بصوت يخنقه التهيج العصبي

وكان بين الفتاة والمرأة حديث شجون عرف القاري ملخصه

٣

تناولت المرأة من جيبها مجيديا وضعته في يد الفتاة ورفعت من صرة بين يديها قطعة جوخ وقالت :

هذا المجيدي وهذه القطعة هما هدية اليك بمناسبة عيد المولد من الغني .... الفاضل المحسن !! ....

سكتت الفتاة دقائق وهي تلوك اسم الغني المحسن بفمها وتجهد ذاكراتها حتى اذا عرفت حقيقة الغني المحسن رمت المجيدي والقطعة في وجه مقدمتها ووقفت وتراجعت الى الوراء باشمئزاز وقد ثار كبر النفس في قمة دماغها فحرك اعصابها ، وانطق لسانها فقالت :

لا . لا ... انا لا اقبل مساعدة اليوم من محتكر في الامس .... ارفض هديته

ارفض هدية .... شريك جمال وعزمي وعلي منيف — شريكهم في احتكار القوت وقتل ابناء البلاد واماتة اخي جوعاً وامي جوعاً وتاثراً وحزناً — وما جاع فقير الا بما متع به غني —

نعم ارفض هدية غنيك الكبير الذي ارسلك لان هذا الكبير هو كغيره من امثاله كبير بجرائمه . كبير بفظائعه كبير بقساوته وشراسته ، كبير في موآمرته على الضعفاء

الحق اقول لك ايتها المرأة . ليست الهدية وحدها التي ارفض بل ارفض ان يقع نظري عليه لان جسمي يرتعش عند مشاهدة مرتكب نعم انا فقيرة وعاجزة ولكن نفسي تانف من الصغارة

اما لو كنت تاجراً لما عاملت غنيك ! خادمة لما خدمته ، حاكما لامتهنته ، صحافياً لاحتقرته . امتهنت واحتقرت غنيك لان سبب انتشار

الفساد بين ابناء بلادي — اعتبار ومجاملة المرتكب الامس ، الخائن يوم البؤس ، خذي هديتك ارجعيها اليه لاني لا اقبل هدية مجرم لا يصل اليه قانوننا

اما لو وجد رجال في ايام من نعيد لمولده اليوم مثل هؤلاء اخلاقاً لما كانت خطبة السيد بهم اقل بلاغة وحكمة وتأثيراً على الام من خطبته على الجبل .

حسبي شغلي عضداً لي ، وحسبي اشغال جمعية الصليب الاحمر واسطة نعمة لاعاشتي فاليك هديته . احمليها واليك عني ايتها المرأة

٦

كانت المرأة تسمع كلام الفتاة كانها في حلم لانها لم تشاهد ولم تسمع في وطنها سورية ان فقيراً رفض احسانا من غني بالحجة التي تحتجها مي ولما لم تجد مجالا للبرهان ومقدرة على الاقناع جمعت الهدية تحت ابطها وخرجت من غرفة الفتاة وسارت في حي . . . وفي فمها عبارات مزعجة

اترفض مي الهدية من مال الاحتكار اترفضها من مجرم !

اجائعة ترفض ؟ ماذا يهمها . . . انها فتاة متكبرة انها متمردة

ثم نظرت الى غرفة تلك الفتاة وقد بعدت عنها وضمت يدها مهددة وقائلة :

متمردة انت يا مي متمردة انت يافتاة لبنان الجائعة .

استعمار العقلية الشعبية

اذا لم تكن الميول الشعبية ؟ والاراء الشعبية ؟ والمعتقدات الشعبية — مدرعات ومدافع وطيارات ودبابات ؟ وخناجر وسيوف — فهي روح المدرعات والمدافع · ومحركات الطيـارات والدبابات · ومضـاء الخناجر والسيوف

* * *

للشعوب عقلية مستعمرة ؟ وادمغة محتلة

مستعمرة ومحتلة لان ممتلكاتها جميعاً — هي رسوم تنقل عن الكتب والصحف · والخطب · والتعليم

تنقل عن معتقدات المذاهب ؟ وثمالة الطوائف وتقاليد الاديان تنقل عن الاداب والازياء · والصور المتحركة · والتمثيل والحوادث · والرسم · والنقش ، والموسيقى وكامل الفنون · : · ·

اذن · المؤلفون والفنانون والمشترعون · : · هم القواد المستعمرون؟ وجيوش افكارهم = هي الغالبة في صدام الحياة

واذا كانت خطوط القيادة وخرائطها — ترسم متماثلة في معظم الافكار الشعبية — فلأن عقول الشعوب متماثلة فهما ، متقاربة ادراكا ، قاصرة تحليلا

وتخطيط هذه التماثيل والتقارب المرتكز نصباً او انصابا بشكليه

الادنى والاعلى — يدعى الرأي الشعبي المكتسح ؟ والفكرة الشعبية المفتتحة فالارادة الشعبية المروعة المدهشة

ذلك هو الرأي الشعبي المجنون

٢

الرأي الذي يكون طوراً كالآلة الصماء · والعبد الخانع ؟ والنذل المنسحق

وطوراً كالزوبعة المفتونة · والعاصفة المجنونة · والبركان الثائر

اعترف بفتكه وجبروته اعاظم الابطال والجبابرة فقال فيه نبوليون وهو في جزيرة القديسة هيلانة

« انه قوة هائلة غير منظورة · الحواجز كلها تهدم عند صولته ·

لا حركة تشابه حركته

لا عقم يماثل عقمه

لا قوة تشابه قوته

وانه مهما كان متصلباً اعوج فانه على جانب من الحق كائن · وانه اعدل مما يظنون »

٣

مدهش الرأي الشعبي وعجيب برقد رقدة الطبيعة في ليلة ساكنة ، ويعصف عصف البحر قرب الجزر في يوم زوبع

لذلك ترتعش لذكره الابطال حتى الجبار السفاح . والمغتصب المحتقر . والمتصلب المكتسح . والملك العاتي . والامبراطور الظالم

* * *

واروع ما في غرائب المبدعات الشعبية — ان اشد الجبابرة الحربيين والسياسيين — صولة وقوة — انتهت امجادهم عندما خيمت على المجموع سيادتهم

وتدهورت عروشهم — عندما عمت رهبتهم جميع المحكومين منهم المتخوفين من صواعق غضبهم

وسلاطين تركيا . وقياصرة روسية . ونوليون فرنسا . وقيصر رومة — شواهد عدل على هذه الحقيقة البارزة

٤

الفلاسفة والعلماء والاطباء والمكتشفون والصحافيون والكتاب والموسيقيون والفنانون و .. هم من اكابر عشاق احتلال العقول الشعبية

على ان اكثر الناس سعياً وراء استعمار الميول واشدهم عشقاً وتهيا هم سياسيو الدول الذين يضحون . و يضحون . و يضحون .

يرشون كل من سبق من الرجال ؟ و يستخدمون الوهاج من الذهب لتعميم فكرة وقتل اخرى

يوكد بعضهم ان المانيا كانت تدفع لصحف اوربا قبل الحرب الكونية « ١٣٨٠٠٠ » الف فرنك ذهبية في كل سنة

٩٣

اما فرنسا و بريطانيا واميركا وايطاليا وشركاء هذه الدول الطامعة في الشرق ٠ فلا اعلم كم كانت تبذل للصحف والزعماء وتدفع من المرتبات عن طريق التعليم والارساليات

— لا اعلم كم كانت تبذل ولا تزال ـ لتستعمر الادمغة الشرقية وتحتل العقول المتاهبة في التفرقة والطائفية والسعاية والنكاية والوظيفة والنفوذ ٠٠

ذلك ما اجهل كميته وقيمته ولكنما اعلم واؤكد سراً وجهاراً انه يدفع

٥

وما احتل غربي قطعة ارض في الشرق ٠ ونقل اثمن ما يملكه موطن المجد — من عاديات تاريخية ثمينة ٠ وتماثيل فنية رائعة ـ الا بعد ان احتل العقول واستعمر الادمغة ـ بعد ذلك شرف بجيوشه المستعمرة نظيرنا — فاستثمر المملكتين المحتلتين

المملكة العقلية والمملكة الارضية

فكان له ما شاء ، وكان لنا غير ما توهمنا وشئنا

* * *

ابن تيمور

سودت بياض الصحف ، وخويت عمود المنابر يا ابن تيمور

سودتها بقلمك ، وخويت عمودها بخطابتك — لاقناع كل فتى من فتيان الجد آدم ، وكل فتاة من حفيدات الجدة حواء بالعبارة التي ظننتها منزلة من اللانهاية منبثقة من الاثير الا وهي :

قوة الارادة

قلت بها ولقد قالها الكثيرون من قبلك ، وبشرت بها كما بشر المتحدرون من سلالة جدك

قلت وقالوا و بشرت و بشروا انها — تأمر بكل شيء — وتطاع بكل شيء — وتفعل كل شيء . . .

ما كنا لنخالف ارادتك يا ابن تيمور العظيم لولم نكن نعلم بالاختبار:

ان ارادة المجنون باسيدي اقوى من ارادة الحكيم

وارادة الشقي اعظم من ارادة الصالح

وارادة السكير المعربد — انفذ من ارادة المفكر المتنبه

وارادة المفتتح المكتسح — ابلغ من ارادة المدقق المشترع
وارادة المتعصب المنتقم اقطع من ارادة المتساهل العادل
انت تعلن ان أريدوا فتقدروا !!!
ارادت العصور الاولى الهمجية ان تدوس حرية الفكر ففعلت ،
وان تنحر رقاب المخالفين لها في معتقداتها فنحرت
كل هؤلاء يا آمري وآمر اخواني المتصحين — كل الاولين الذين
سميناهم لك يريدون و يندفعون لتنفيذ اراداتهم اندفاع القذيفة فيسحقون
جنود العلم وجيوش العقل — بقوة اراداتهم يسحقونهم
ان هذه الارادة التي تريدها يا قوي الارادة حكمت قرونا ،
ورافقت الحكومات المطلقة والاحكام الهوجاء اجيالا
ان هذه الارادة مكنت الطبع الحيواني ، وجعلت الناس وتجعلهم
عاتين عندين — بدلا — من مفكرين ثبتين
جعلتهم وتجعلهم جشمين مندفعين متعصبين — عوضاً من فاضلين
جريئين متساهلين

اذن قوة الارادة لا تنفع يا صاح ، بل تهدم وتقتل
تيمورلنك كان قوي الارادة كذلك الجزار
نيرون كان نارها ومادة التهابها قتل امه وحرق عاصمته
نبوليون كان بركانها ولكنه لم يفعل كل شيء ، ولم يصبح سيد العالم ،
او مهندس الكون الاعظم !

اذن يا سليل تيمور الكبير او ابنه او حفيده اعلم ان نور الاكتشافات الذي يبهر العالم و ينير الكرة الدائرة المسطحة ، وان سعادة العقول المولدة والتقدم الطبيعي ، ومنع الاستعباد ، ونيل الديموقراطية بعض حقها ، واستقلال الشعوب الضعيفة وقذفها النير عن مناكبها كلها يا سيدي

كلها لم تحدث عن الارادة القوية بل ·

بل عن الارادة العادلة

لهذا نقول لسنا بحاجـة يا ابن تيمور لارادة الجبانين والاشقياء ، والـكبرين ، والمكتسحين ، والمتعصبين بل باشد الحاجة لارادة الفاضلين ، والصالحين ، والمفكرين ، والمشترعين ، والمتساهلين

اذن نحن بغنى عن الارادة القوية

وبحاجة للارادة العادلة : للارادة المنبثقة عن ضمير شورى الدماغ الباحث المفكر

** **

٩٧

جمال وحب والوهية

في فينيقيا مملكة الجبابرة

١

على التلة الواقعة قبالة لسان البر المندلع في بحر جبيل

على تلك التلة مغارة محفورة في صخر. بني في شرقيها بيت لا يزال طينه طرياً لم ينشفه الهواء ولا امتصت رطوبته حرارة الشمس.

غربي المغارة فسحة نصبت عليها خيمة.

اعمدة الخيمة من شجر الارز والصنوبر

الشباك المترابطة بين اعمدتها من اغصان الغار ومسلات اللزاب

في هذه المغارة كان يعيش البناء «ايون» وامرأته «ربة» وعائلتها

وفي اول يوم من الشهر الخامس الوردي المعروف في ايامنا بشهر تموز «تموز الذي دعاه الفينيقيون بالشهر الخامس الوردي احتراماً للون الافقي الشمسي واعتباراً الى النظرية التي فكروا بها ان احب الالوان عند الالهة انما هو اللون الوردي — لذلك تمتص الشمس لون ورود الربيع لتفاخر به الارض في الصيف عند انبثاق الاشعة واثر الغروب»

في مساء اليوم الاول لهذا الشهر وعند ابتداء ساعة الليل الاولى كان شبح يروح فيجيء قرب التلة التي ركزت عليها الخيمة

يروح ويجيء ويصوب نظره الحاد كأنه يريد ان يخرق كثافة الاشجار والغابات التي كانت تغطي تلال الجبل وسفوحه ومنخفضاته ووديانه حتى اذا لم يشاهد احداً — لطم وبكى وانتحب

ذلك الشبح كان شخص ربة امرأة ايون

وبعد مرور ساعة على تلك الحال تنهدت واندفعت الى مدخل الغاب متهللة فاذا هي بمن تنتظر — فاذا هي بادونيس بابنها الحبيب

وضعت فمها على كتفه العاري النحاسي وطبعت قبلات حارة! وذرفت دموع فرح سخية .. هي دموع ام تتصور السعادة والشقاء بحركات الابن ، وحوادث الولد

وتناولت قوسه ونشابه وشبابته بيسراها — وقبضت على يده بيمناها وسارت

حتى اذا بلغت الخيمة جلست على مقعدها الخشبي — الذي صنعته بيديها من اغصان الاشجار المتنوعة والالوان المختلفة التي تشاهد في غياض لبنان الغضة ، وغاباته الكثيفة

جلست على مقعدها ! واجلست ادونيس بقربها واضعة فخذه العاري في حجرها . وقالت باهتمام الام الحنون

لماذا تاخرت يا ادونيس . الا تعلم كم يسرع جزر دمي في صدري ومده . وكم تتاوج عيناي بزبد الدموع عندما يغطس الاله الناري في البحر ولا تكون بقربي ، وبيدك تضمني

الا تحس بعذابي يا بني عندما افكر في هذه الغابات الجبلية التي تتخطر بها النمورة والخنازير والثعابين والاسود والسباع

قل يا ادونيس . الا تحس بذلك الا تفكر بخطر السباع يا ولدي

هكذا كانت تخاطب الام ولدها

٣

اما الولد فلم يفهم سوى كلمتي تاخرت والسباع فقال . مالنا وللسباع يا امي

لقد تاخرت و برقت عيناه وشعرت الام بانتفاض عصبه

ـ لقد تاخرت لاني مررت اليوم بضفة النهر ... وسكت ...

ـــ وماذا حدث اذا كنت قد مررت بضفة النهر ؟؟

مررت يا امي بضفة النهر الابيض القلب مررت قرب الشاطيء البحري . وهناك .

وهناك شهدت الحوريات العاريات يغتسلن في مياه النهر

بعد ان شهدتهن يغتسلن في الماء و يلعبن شهدتهن يا اماه يقفزن على الصخور لينشفن اجسامهن بقبلات الشمس ، ومناشف طيات النسيم

يا لشهوة الشمس ما اشدها -- انها تقبل الجسم وتمتص ماءه

يا لفظاعة النسيم ... انه يلعب بالشعر و يضاحكه و يدغدغه !! .

يا لقحة الحوريات ... انهن يستسلمن للشمس والنسيم و يداعبن دون خجل الشمس والنسيم

وبعد ذلك يا امي ؟

بعد ذلك رأيت الحوريات يتحولن الى المروج فيعزفن بالشبابة ويرقصن و يضحكن …

آه ما الطف مشهدهن وما اسعد الشمس والنسيم

٣

ودخلت يا امي الى الغاب ٠ وهناك في الغاب ! ! …

وقبل ان يتم نهض منتصباً ٠ ومر خيال امام عينيه فارتفع صدره وانخفض بسرعة وخرج من فمه تنهدات حارة

وهناك في قلب الغابة رأيت طيوراً تلاعب حورية

رأيت بعيني طيور الغاب من حمام وسمن وشحارير وعصافير ٠ ٠ ٠

تصيح وتغرد وتزقزق وترفرف حول رأس الحورية ثم تقع على كتفيها ورأسها و يديها وتقترب من فمها فتقبلها ٠ قبلات كثيرة تقبلها

الطيور تقبل الحورية والحورية تقبلها

ثم رأيت الغزلان تخرج من غابات الحرج ومغاوره وتسير زوجاً زوجاً فتقترب من الحورية وتحني روؤسها مسلمة ؟ وتقدم قرونها السلمية للحورية فتقبلها هذه بوجهها بعطف ! والغزلان تقبل الحورية وتمر امامها صفاً صفاً

وقد كانت الحورية يا امي ترمي حباً للطيور بعد التقبيل وتلقي اثماراً للغزلان بعد المصافحة والتسليم فتعود الطيور والغزلان فتقبلها



عشروت في غياض لبنان

وتطير الاولى مغردة تصفق باجنحتها .
وتلوح الثانية برأسها وتحني رقابها وتمشي متلفتة شاكرة
انه منظر عجيب يا امي انه منظر غريب مدهش
ورأيت الحورية بعد ذلك
رأيتها تخطو بهدوء متثاقلة تنظر في الفضاء بعيون تائهة كأنها تبحث عن عزيز اضاعته ، وبينما هي تخطو كانت روائح الطيب تتطاير من جسمها فتعطر الغاب وتضمخ هواءه بمسكها
وقد رغبت ان اقترب منها

رغبت ذلك بكل ما في من حاسة لامثل يا امي دور الحمام والسمن والشحارير والعصافير والغزلان — آه لو افعل ـ ولكن جسمي ارتجف فما استطعت للدنو سبيلا فاختفيت وراء الاغصان حتى اذا مرت بقربي نظرت يا امي
شعراً طويلاً محلولاً يغطي كتفيها . ويستر جذعها الى ركبتيها
وذراعين مفتولين . وساعدين ملفوفين ـ مكتوفين على صدر خافق وقلب نابض
ونهدين طويلين — قد تقوسا نحو الارض لان نظرها كان قد تحول من الفضاء الى الغبراء . فبعد ان كانت تفتش عن عزيز في الفضاء البعيد اصبحت تفتش عنه في قلب الارض
ورأيت — خدين اسمرين لامعين

وعينين وقادتين ناريتين

وشفتين قرمزيتين

وقامة هيفاء رقيقة

وفخذين ملفوفين لفاً

وقدمين صغيرتين يضمهما جلد ارنب

وانها ترتدي يا امي على صدرها ووسطها بقميص شفاف تجمع من ورق الشقيق القرمزي . الشقيق الذي ينبت في غاباتنا

عندما شهدتها هكذا . رقص الشجر امامي . وعبقت رائحة الازهار والرياحين ودخلت في عيني كالضباب فسقط السهم من يدي ولم اشعر سوى انها توارت عن ناظري

ولما عدت لتنبهي همت على وجهي مفتشاً عنها فلم أجدها

فمن هذه يا امي ـ وكيف ذهبت ـ واين اختفت

٤

ضمت الام ولدها وقبلته كما قبلت الطيور والغزلان الحورية وقالت هذه عشتروت الحكيمة يا بني

هذه عشتروت صديقة الطيور ، وحبيبة الحيوانات وملكة فينيقية المحبوبة . ذات الرائحة العطرية ! والنظرات المكهربة ،

هذه عشتروت المشترعة التي سنت النظم والقوانين الجديدة

هذه عشتروت معشوقة الحكماء والحكيمات . انهم يتبعونها حيثما تذهب



ادونیس

[illegible]

[illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

— [illegible]

o

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يعقدون مجتمعاتهم معها قرب مخرج الينبوع الابيض او في صور ، او بيروت او بعلبك او صيدون . وانها لتهب قبلة من يدها العطرة ، وابتسامة من فمها الوردي لكل فينيقي عظيم

— وكيف يكون الفينيقي عظيما يا امي ،

— يكون عظيما — اذا قام بمشروع مفيد لفينيقية او اكتشف — سراً من اسرار الكون يخدم به مدنية فينيقية او ... فقاطع ادونيس امه وقال :

— وهل سعد احد الناس بقبلة يدها وابتسامة فمها

— نعم يا بني

— ومن هو ذلك الرجل

— هو فوست

٥

ان فوست هام بها وغار على جمال جسمها — فتعهد ان يستر هيكلها الالهي — الذي عذب الناظرين كما عذبت ! واضل العقول كما اضل عقلك

تعهد ان يستر جسمها اللامع فاستكشف صناعة النسيج وصنع اثوابا قرمزية

والثوب الشفاف الذي قلت انه من وريقات الشقيق القرمزي هو من تلك الاثواب

على ان عشتروت قد وهبته قبلة يدها وابتسامة فمها

لقد كافأته بان دعت الفينيقين لاجتماع حافل

في ذلك الاجتماع رقصت الحوريات اجمل فتيات فينيقية البحرية رقصت الحوريات اللواتي شهدتهن يستسلمن لهيام الشمس والنسيم ، و يداعبن بفحة الشمس والنسيم فتقبلهن الاشعة دون حياء و يدغدغ شعورهن واجسامهن النسيم بدلال وشهوة

لقد رقصن على انغام الشبابة ورقص الطيور من سمن وحمام وعصافير وشحارير ورقص الغزلان ايضاً

لان الطيور والغزلان يا ادونيس تعشق عشتروت وتحبها وتقبلها وتسامرها

وما ذلك الا لان عشتروت نقية السريرة ، طاهرة اليد ، عنيفة العاطفة ، تربي هذه الطيور والغزلان صغيرة وتحنو عليها كبيرة فتشعر هذه بمحبتها وطهر عواطفها ونبل سريرتها فتبادلها المثل وتجيء طوائف واسراباً فتحوم حولها دون ان تخشاها وتقبلها تلك القبلات التي رأيت لذلك حضرت الحفلة .

فتنهد ادونيس تنهداً عميقاً وتمتم — الا ليتني كنت طيراً او غزالا

اما الام فابتسمت وتابعت — وقد صنعت عشتروت بيدها اكيلا من اغصان الغار والزيتون لتتويج رأس فوست المكتشف واني لاذكر تلك الساعة الملوكية

ساعة اجتمع عشرون فتاة حول عشتروت فالبستهن الاثواب

القرمزية . فتجلى جمالهن النبيل !

انعكس ذلك البياض الرخامي على اللون القرمزي فبهر العيون وخرت الجماهير معفرة جباهها خاشعة

وما هو ان عادت للجمهور روعته حتى تقدمت عشتروت بين الاهازيج والترنيم ووضعت الاكاليل على رأسه وقدمت له يدها فقبلها واذ ذاك صاح الناس يحيون عشتروت وفوست

* * *

وكان ادونيس الشاب قد ارهف اذنيه . ومد عنقه . واحنى جسمه نحو امه كانه يريد ان يفهم اخبار عشتروت بكل مسام هيكله ولما وقفت عند قولها صاح

— الناس يحيون عشتروت وفوست — قال وهل كان فوست هو الرجل الفرد الوحيد الذي توج رأسه بيد عشتروت

هل كان الفرد السعيد في كل فينيقية الذي استحق الشرف العظيم بتقبيل يدها . وابتسامة فمها !

— كلا يا بني

— ذلك ما حدث منذ عشر سنوات عندما كانت عشتروت في الربيع السادس عشر ولكنها بعد ذلك اقامت حفلات عديدات ووهبت قبلة من يدها وابتسامة من فمها لغير فوست

— لمن يا امي

١٠٦

— بعد مرور سنة على تتويج رأس فوست توجت رأس صيد — لانه اكتشف الة لصيد الوحوش المفترسة التي كانت تهاجم السكان في مغاورهم وخيامهم وتفترس الصغار وتعكر الراحة والهناء

وتوجت رأس صيدون ورأس كشور لانهما اكتشفا ادوات صيد الاسماك والزوارق وخاضا البحر وعلما الناس ان يتغلبوا على حيتان الامواج ويخضعوا زمجرتها الشديدة و يسيرون فوق سطح الماء باطمئنان

وتوجت رأس ابن كشور لانه اكتشف البناء . وسقف البيوت وصنع القرميد من مزج التراب بالتبن وقش الصنوبر وطبخه على حرارة الشمس . وبيتنا الذي صنعناه حديثاً ولم تنشف حرارة الشمس طينه قد بناه والدك الذي تعلم منه هذا الفن الجميل

وتوجت رأس امين وماج لانهما حضرا الجبليين وبنيا لهم القرى

وتوجت رأس ميسور وصديق لانهما استكشفا الملح

— وهل وهبت كل هولاء قبلة من يدها . وابتسامة من فمها ؟

— اجل . لقد وهبت كل فرد منهم ذلك

— وغيرهم يا امي

— منذ ستة اشهر اقامت حفلة في غابنا الجميل هذا

اقامت حفلة للرجل الفينيقي العظيم حرمش الذي ابتكر فناً جديداً يصور به احاديثنا بحروف وكلمات ورسوم وخطوط ورموز وسماه « فن الكتابة »

وبعد ثلاثة اشهر على هذه الحفلة عقدت في بيروت في البناية الضخمة المؤلفة من اروقة طويلة وردهات عالية والمرتكزة على شاطيء البحر اللازوردي

وتوجت رأس الحكيم اشمون الذي اكتشف علما سماه بطب الاجسام يحيي بواسطته المرضى ويرد اليهم الحياة

لقد توجته بتاج سمته تاج الحكمة ونصبت له تمثالا منحوتا في الرواق الكبير عند مدخل البناية واوصت الفنانين النقاشين على تماثيل لمن توجتهم قبلا لتنصبهم في مدن فينيقية تقديراً لفضلهم وتشجيعاً لسواهم

وفي الشهر الماضي توجت رأس ارطميس . ارطميس المحبوبة وقبلتها بثمها

لان ارطميس يا ادونيس سارت كزعيمة لعدد من الفتيات الى اراضي فينيقية وبشرت بمبادىء عشتروت وانظمتها الجديدة للبلاد الفينيقية

وظلت ربة تشرح لادونيس تلك الشرائع والانظمة التي ستكون وطن جبابرة لفينيقية وهو يزداد دهشة وغرابة

و بعد ذلك تركته بين احلام اليقظة واحلام النوم ودخلت الى مغارتها فنامت

٦

نامت ربة اما ادونيس فظل يقظاً حالماً في يقظته حتى اذا انفلت

اليافه الدماغية بالتعب الفكري — نام ٠٠ فعاودته خيالات الاحلام في نومه

٧

وقبل انبثاق الفجر وسماع زقزقة الطيور — نهض ادونيس بقوة الشباب من رقاده متقلداً عدة صيده ! وشد رجليه بسير واندفع بخطوات واسعة نحو الاحراش والغابات ٠ ٠

فهبط الاودية ! وتسلق الجبال ! وماشى الانهر ! وبحث في الغياض مفتشاً عن عشتروت

لقد بحث النهار بكامله ! وحدّق بنظره واستخدم سمعه وشمه فلم يشاهد عشتروت ، ولم يسمع وقع خطواتها ! ولم يشم عطر جسمها

— فرجع عند المساء مقطب الوجه ، دامع العين ، حزين الفكر رجع يسائل امه عن ملكة الطيور والحيوانات ، ومتوجت الحكماء والحكيمات ، ذات الجمال المسكر ، وذات الرائحة العطرية

شعرت الام باضطراب الابن وعاد الى خيالها دور الفتوة وحوادثه وتذكرت حرارة الصبا وتشوق الشباب فقالت : — كفاك بحثاً في الغابات والاحراش يا بني انك لن ترى الملكة الحكيمة فيها لانها تركتها٠

ساريك يا ولدي عشتروت

بعد مرور ثلاثة اقمار تمر بلياليها

قبل ان تنظر القمر الرابع تشاهد عشتروت لانها ستعقد اجتماعا

كبيراً في صور البحرية

ويؤلف هذا الاجتماع من الحوريات الحكيمات والمكتشفين الحكماء ، والمفكرين العلماء . وسيكون من الحكيمات :

اغنس — ذات الجسم الوردي اللامع

وديده — ذات الهمة الوثابة القوية

وهيلانة — ذات المفاخر النسائية

واورية — ذات النور القمري وغيرهن . وغيرهن

ومن المكتشفين والمفكرين : ممنون ابن الفجر ،وهركيل ، ونيفون وديونيس وغيرهم وغيرهم . . . وكلهم من عظماء فينيقية وارباب الفنون ، وصاغة الادب ، ورجال العمل

واني لمدعوة لهذا الاجتماع مع ابيك فاذا كنت من محبي الحكمة . ومن عشاق المعرفة فاننا نأنس بك في رحلتنا ونطرب بقربك منا واجتماعك معنا . وتشاهد . . .

فجعل ادونيس يصفق بيديه ويركض امام الكوخ جيئة وذهابا ويصيح بعد ثلاثة اقمار . بعد ثلاثة اقمار . اشاهد عشتروت ذات الرائحة العطرية ! واللباس القرمزي ! والجمال الالهي . . اشاهدها .

٨

وبعد ان شبع من الخطو وتعبت اجنحة خيالاته من الطيران في فضاء التصورات — استيقظ عقله شاعراً بوجوب ادراك مميزات عشتروت

وتفهم لقب الحكمة الفخم التي تلقب به

استيقظ وشعر ان التقرب من الحكيمة يجب ان يكون عن طريق الحكمة فاندفع نحو امه وجلس اليها سائلا :

— ما هي الحكمة يا امي ؟ ولماذا لقبت عشتروت بالحكيمة . وكيف يتفاهم الشاب مع الحكيمة .

رقص قلب الام في داخلها واحست ان التضحية الشريفة لاجل المحبوب ابتدات تدب مسرعة في دماغ ابنها — فتهللت وقالت

نفهم بالحكمة يا بني ما نفهمه الصغير عند ما نقول له امه كن حكيما عاقلا

ان الكبار لا يفهمون من الحكمة اكثر من ذلك . ولكنهم يشعرون بسموها وجمالها دون ان يتمكنوا من تحديدها

ولماذا لا يحددونها

— لان الحكمة — واسعة كالفضاء ؟ عميقة كالبحر ولانها ككل علم لا تحدد ولا يجب ان تحدد

— ولماذا يا امي ؟

— اعلم يا ادونيس ان العلم الذي يحدد يسجن . وتحديد العلوم واللغات والشرائع هو كقطع الشجر . الا ترى ان الشجرة اذا قطعت توقف نموها و يبست

— اري ذلك يا امي

— اذن اعلم ان جمود العلوم واللغات والشرائع هو في تحديدها وحصرها ٠ ان التحديد والحصر يحدد العقل الذي يتفهمها و يحصره ان التحديد والحصر سجن ضيق والحكمة التي هي سيدة تلك العلوم تشع بفوائد كثيرة فتستنير بخيوط اشعتها ولكننا لا نقدر ان نحصر نوره المنبثق متفجراً كالشمس = نعم لا نقدر ان نحصره في بيت او مغارة او بلدة او غاب فكيف نسجنه في الفاظ وكلمات

وان الاستكشافات للعلوم ذات الحدود المسجونة ضمن جدران المغاور المشبكة ابوابها بالحواجز الضخمة

ان الاستكشافات هي هدم المغاور وتقطيع الحواجز وقبل التمكن من الخروج من تلك السجون قد يضحى الوف و يقتل مئات من النشيطين — تحفظاً لحياة المفكرين والمجددين قالت حكيمتنا عشتروت المحبوبة ان نترك حرية الفكر مطلقة ـ ونهدم حدود العلوم واللغات والشرائع

فظهرت على وجه ادونيس خطوط والوان اليأس لانه لم يصل من البحث للامنية التي رغبها

وادركت الام من الانقباض الذي تماوج في وجهه معنى الافكار التي جالت في خاطره فقالت

= ذكرت لك يا بني ان الحكمة لا تحدد ولكن ادلتها لا تجهل وفراستها لا تخفي

١١٣

فالحكماء والحكيمات :

يشتغلون في الحياة كما يشتغل الطماعون . يطرقون باب كل هيكل ليفتشوا عن العظمة والتحليل والنشاط والسعادة والحب والابداع

فاذا لم يفتح لهم رتاج الهيكل بعد صبر وبحث وعناء فلهم من تمرين جهادهم تعزية بالقوة المكتسبة من العمل

لان العمل يا بني يوسع دائرة افكارهم العاطفية والتحليلية . وينمي حقل عقولهم . ويخصب ازهار رياحينه وازهاره

انهم بعد العمل يتفهمون بسرعة فيبلغون لجج اعماق العقل

وانهم لا ينتظرون من العمل الانتصار وكفى ولا يفهمون انه الحركة فحسب بل يعتقدون ان العمل هو في الصبر والسكون والفيضان والثورة والزوبعة لذلك قلت انهم يعملون ويعتبرون العمل ناموساً انسانياً

يفتشون عن اسرار العقل والكائنات كما يفتش عن الخبز والماء — الجائعون والظامئون

يحترمون الحياة ويحافظون عليها كما يحافظ عشاقها المؤمنون بها — المتمسكون بجمالها

يسعدون في الحياة كانهم للهناء ولدوا . وللسعادة كونوا

نعم . يعملون اعمالهم وهم مؤمنون ايمانا لا يتزعزع بفوزهم وواثقون ثقة

اكيدة من نجاحهم ـ لذلك يفوزون و ينجحون

ومهما كان عملهم صغيراً فانهم يبذلون لاجله كانه يحمل هناءهم و ينير طريق سعادتهم

وكأن العبارة الاخيرة كشفت النقاب عن السر الذي يفتش عنه ادونيس فلم يشأ ان يعكر على ادراكه مجاريها الصافية . ولا ان يسمع ما تبقى من خطبة امه البليغة فنهض مسرعاً وفر الى داخل الغاب

وهناك انفرد يحلل قول امه

يعملون اعمالهم وهم مؤمنون ايمانا لا يتزعزع بفوزهم . و يثقون ثقة اكيدة من نجاحهم — لذلك يفوزون و ينجحون »

و بعد ان كرر هذه العبارة عشرات المرات قال ذلك هو ناموس الانبياء وملوك الفكر . فهو ناموس عظيم ومنذ تلك الساعة عاهد ذاتيته على العمل واستبشر بالفوز فسري عنه القلق وذهب الى فراشه فنام

٩

مر اليوم الاول من الثلاثة اعدَّ به ايون ورية عدة السفر . ووسع ادونيس امانيه وخيالاته متصوراً جمال عينيها . و يديها . وكتفيها وساعديها . ومشيتها . ونظراتها وعصافيرها وشحاريرها وغزلانها

حلم وهو يروح ويجيء مسرعاً — ان عشتروت ستحبه . انه سيرافقها في غدواتها وروحاتها . حلم . وحلم والشباب عصر تصورات واحلام في الحب . والعشق والهيام . والمجد . والمطامع — يبتني التصور في الهواء

وينقل البحر بكفيه الى الفضاء

في اليوم الثاني قطعوا الجبال والوديان والتلال

في اليوم الثالث القوا الرحل في صور البحرية

في صباح اليوم الرابع فتحت ردهة المجمع في صور وتسابق الفتيات والفتيان لحضورها ،الشابات والشبان ، النساء والرجال،العجائز والشيوخ تسابقوا جميعهم لمشاهدة عشتروت يحيط بها الحكماء . والحكيمات والفنانون

. . .

يالمدهشات الجمال وتكيف ادواره وتاثيره :

من النساء من يشاهدن جميلات بنظر اشخاص . وعاديات بنظر اخرين

منهن من يجذبن الناظر مرة و ينفرنه اخرى اما عشتروت فكانت جميلة بنظر كل شخص وجذابة في كل مرة

١٠

ذلك لان تقاطيعها جميعاً — كانت توحي

الرقة — وسلامة الطوية — والمعرفة — والنبل

ومن كانت هكذا كانت ربة جمال ، ومعبودة امة — كذلك تجلت

١٠

عشتروت فينيقية

وبينما كانت تدخل الى بناية المؤتمر محاطة باعضاء المعهد — خشع المتفرجون وصاحوا مكبرين ومهللين كانهم امام ملك

وانتظم عقد المختارين والمختارات وجلس وراءهم وحولهن الالوف من عشاق الجمال ، والعطر ، والمعرفة ، وطالبي البحث والتفتيش وكل من حضر هو واحد من هؤلاء

وتسنم الكوكب النهاري قبة الساعة الثانية ، ساعة افتتاح المجمع فوقفت عشتروت على المنبر

وقفت عشتروت وصوبت نظرها بالجماهير فظن كل فرد ان نظرها صوب اليه ، وانها تحن لمخاطبته فالتفتت الاعناق وجمدت حركات الانفاس وسكنت هزات الاجسام ولم يعد في هياكل القوم من متحرك غير العيون في الاحداق ومن طابع لاصوات عشتروت ونبراتها وافكارها وموسيقى رنتها غير الات السمع الخارجية ، ومنطقته الداخلية . ومن مدرك غير النخاع الدماغي وتلافيفه ومناطقه

وبين هذا السكون المهيب — هبت رائحة عشتروت فخدرت وهيجت بين هذا وذاك سمع صوتها تقول — :

١١

ايها الفينيقيون

انتم تحبون نفوسكم كما نحبها ، وتحترمون كيانكم وحريتكم كما نحترم
انتم ترغبون في تكوين مركز عظيم مؤثر على سطح الكرة الارضية يابسها ومائها — كما نرغب

انتم تابون الاستعباد لخشونة الطبيعة و غنازيرها . ووحوشها و بردها الشتوي وحرها الصيفي — كما نابى

انتم تعززون النوابغ والمكتشفين والفنانين الذين لاجلكم يعملون واكراماً لكم يضحون — كلكم تعززونهم كما نعزز

كلكم تطلبون الاستفادة والمعرفة والعلم — كما نطلب

كلكم تنفرون من الاستعباد لاوهام المنجمين وخيالاتهم ، والرضوخ بذل لشرائع الكهان وضلالاتهم — كما ننفر

كلكم تتمنون ان تكون فينيقية نبراس حكمة للناس وموطن جبابرة للامم

موطن جبابرة يتفوق بالقوة والحكمة والجمال — كما نتمنى كلكم كلكم . . . . . .

وما اكملت كلكم الثانية حتى سكن الحكيمات والحكماء والمتجمهرون والحضور — بغتة — واصغوا فاذا جماهير في الخارج تنادي :

و يل لنا . و يل لنا ، سيقتلون عشتروت والحكيمات والحكماء — واندفع كشافة عشتروت وهم سرب من الشبان المرد الذين كانت الحكيمة

١١٧

تعتمد عليهم في الرحلات الى الجبال والقرى والمدن ليقدموا لها معلومات عن معيشة الناس وعاداتهم واخلاقهم ومعارفهم وحاصلات ارضهم ومصنوعات السكان ولكي يتعرفوا الى رجال النشاط والاقدام

هؤلاء الكشافة اندفعوا الى داخل المجمع اندفاع السهم المنطلق ووقفوا امام الحكيمات وصاحوا بصوت واحد ورنة منتظمة

« الكاهن ايل وجماعته وقضاة الهيكل وجنودهم يحملون العصي والحجارة ، والنبابيت والسهام ، و يل لنا . و يل لنا »

فنظرت عشتروت في الجماهير نظراً ذابلا والوت عنقها الرخامي على كتفها ، ومسحت باصابعها الوردية العرق البارد المتصبب من جبينها التمري وابتسمت ابتسامة الم عميقة .

حركات كهربت كل فينيقي في المجمع فصاح المجتمعون

و يل لهم . و يل لهم — اذا تجرأوا ان يغضبوا عشتروت او يمسوا الحكماء والحكيمات

١٢

صدق نداء الكشافة

فان القادم كان الكاهن ايل وجماعته وقضاة الهيكل وجنودهم وتباعهم

جاؤا من هيكل بعلبك الى صور لمحاكمة عشتروت والانتقام من الحكيمات والحكماء

وما هم ان دخلوا المجمع حتى اطلق سهم من يد صائبة شك في كتف محافظ الكاهن

فتركت عشتروت موقفها واندفعت نحو مطلق السهم بسرعة ولما لامست كتفه شعر كان جسمه خدر فسقط القوس وهبط السهم والتفت ليشاهد الشخص الذي يلامسه فاذا بعشتروت امامه تبتسم له وفي عينيها

— شكراً يا ادونيس ...

وحدث في المجمع سكون عند هذه الحركة وشقت الجماهير طريقاً لعشتروت فتقدمت نحو المحافظ واستلت السهم من كتفه ومرت يدها على الجرح ! واعتذرت بفمها عن الذنب

واشارت الى الطبيب — اشمون — ان قد عهدت اليك — الجريح. تأثر الفينيقيون لما شهدوا وجالت الدموع في عيونهم ، وتحركت اوتار السنتهم فنادوا محيين عشتروت

اما كاهن البعل فزاده هذا الحادث غيرة وكرها ونفخ في عواطفه سم الانتقام الرهيب ولكنه لم يعلن شيئاً بل ظل سائراً بقدم ثابتة ووجه مقطب حتى اذا بلغ البحيرة التي تفيض مياهها من فم اسد جلس على مقعد

مرتفع حجري واحاط به قضاته وحراسه واذ ذاك اشار الى سمير احد القضاة فوقف هذا وقال :

١٣

ايها المؤمنون

بلغ قداسة الكلي الحكمة: كاهننا الاعظم ما اذاب قلبه . وفطر فؤاده

لقد بلغه ما يرتكب هذا المجمع من نشر الضلال والكفر في بلاد فينيقية المقدسة

ان هذا المجمع برئاسة المتحدة عشتروت. — شاء ان يمرد الفينيقين

شاء ان يمردكم على شرائع الهناء البعل الاعظم ليكون لكم الهة من دونه — قوية وحكيمة

ويسن لكم انظمة جديدة . ودساتير جديدة للاجتماع والدين والسياسة والادب والفلسفة غير ما سنه سلفاؤنا الاطهار و كهاننا الابرار

عندما بلغه ذلك بكى حزناً . ولطم وجهه شفقة . ودق صدره تأثراً وناح طويلا . فذبح للبعل الرب وقدم القرابين فالقى البعل الرب عليه سباتاً فنام وفي نومه حلم حلما مزعجاً

ياله من حلم . . . اتسمعونه

فقال فريق — نسمع نسمع

اذن انتم لا تزالون على نور الهدى تسيرون فاسمعوا وعوا

حلم ان شجرة كرم نبتت في صور وامتدت جذورها الى جبيل وصيدون و بيروت و بعلبك وجميع اراضي فينيقية واثمرت فاكل من ثمرها الفينيقيون ونقلوا نباتها الى كل مكان — فارتفعت حيثما زرعت فوق التربة واخصبت واثمرت فعصرها فريق منهم وشربوا عصيرها فجنوا وتحولوا سمكا فسبحوا في البحار كحيتان الموج واللجج ونقلوا هذا النبات للقارات وراء البحار وهناك غرسها سكان الارض المجهولة فنمت واثمرت وامتدت جذورها واكل الناس من نتاجها · فلما عمت اليابسة واكل منها الناس ظهر سمها في الاجسام فانحرفت العقول وجنت وانكرت الهة الاجداد وعاداتهم واخلاقهم وابتلت البشرية بالمصائب والويلات

ونهض كاهننا الاعظم من سباته — مضطرباً

في عينيه دموع ! وفي وجهه انقباض — فاستدعى المنجمين الامين والسحرة الساميين وقص عليهم الحلم فقالوا :

« ان شجرة الكرمة التي تنبت في صور هي فتاة جميلة كفجر الربيع تسكر كعصير العنب · وتلك الفتاة تدعى عشتروت ابنة البحر

اما جذورها فهم شركاؤها وشريكاتها الذين دعتهم حكماء وحكيمات والعنب هو تعاليمها التي تظهر حلوة في الافواه اما عصيرها فمسكر للادمغة يذهب بعقول الناس ومبادئهم

واما السمك والحيتان ففتيات وفتيان من فينيقية يهيمون بها ٠ و يخضعون لرغبتها فيكوّنون اسماكا وحيتان من صنع اياديهم يتنقلون عليها فوق اللجج، ويحملون تعاليمها وافكارها الى قارات مجهولة فيفيدون تلك القارات و يضرون بوطننافيحدث بسبب ذلك انقلابات عالمية وشرور على الارض كلها

فعندما ادرك كاهننا الاعظم ذلك شاء ان يخلصكم من شرورها وضلال شياطينها و يحرر فينيقية من كفرها فعقد اجتماعا من الكهان والقضاة وتشاوروا فيما بينهم وجمعوا اقوالها التي اعلنت ٠ ومبادئها التي شرحت

ولما عرفوا ان مجمعها يعقد في صور في هذا المكان العزيز ٠ و يعقد دون اذن من الكاهن ومجمعه المقدس — اقروا ان يحضر كاهننا الاعظم وهؤلاء القضاة والجنود لمحاكمتها ومحاكمة مجمعها والاقتصاص منهم جميعاً ٠٠

فارتفع صوت من الشعب يقول ٠

ان عشتروت حكيمتنا ، انها ملكتنا اننا نحبها ٠ ونموت اكراماً لها فاحذروا ٠٠٠

فردد الشعب ما قال ذلك الصوت ٠

فقال احد القضاة

ولكننا سنحاكمها امامكم ، ونسمعكم جرائمها فلتدافع عن نفسها ان كانت بريئة ٠ ـ الا تريدون ان تسمعوا ؟؟ ٠٠٠

فقال احد الحضور — بلى نسمع لعشتروت اننا نحب صوت عشتروت ونغمة عشتروت ، ومنظر عشتروت

القاضي — ستسمعونها مدافعة عن جرائمها ٠

فوقف شاب لا يتجاوز العشرين

شاب انتصب شعر رأسه ، وتحجرت عيناه في محاجره وتوتر عصبه في جسمه وجمع يده كمن يرغب ان يهاجم و يضرب وصاح صيحة من خولط بعقله ٠

ان عشتروت لا تحاكم ايها الكهان والقضاة ٠ اننا نفديها بحياتنا فاذهبوا عنا — وابتدأ ان يندفع بالخطو وكان ذلك الشاب ادونيس

ووقف بعد خطوتين على صياح كل فتى وفتاة يرددون عبارته

ان عشتروت لا تحاكم ايها الكهان والقضاة . اننا نفديها بحياتنا ٠ فاذهبوا عنا ٠

واختلطت هذه الاصوات باصوات الطيور التي كانت تصفر كصفيرها عند مشاهدة النسر ٠

جذب ادونيس انظار عشتروت فابتسمت له وهلل تحمس الشعب عقلها وفكرها فرفعت يمناها وخاطبت الثائرين باشعة عينيها واشارة يدها

فظهر مشهد غريب

ذلك ان الصائحين ظلوا في اماكنهم ، وظلت حركاتهم كما كانت ثانية رفعت يدها ، واشارت بيدها

فمن كان فمه مفتوحا ظل مفتوحا .
ومن كانت يده ممدودة ظلت ممدودة .
ومن كان متحفزاً للوثوب ظل متحفزاً
ومن كان مقطباً ظل مقطباً . وتمثلت الطبائع بتكيفها عند الغضب لمن تحب وتحترم ولم يتغير سوى شكل الرؤوس والرقاب التي تحولت الى مركز الصوت ناظرة الى عشتروت .

يالطرب الرسام النابغ امام هذا المشهد الساكن الرهيب الناطق بكل العواطف ، والمعرّف لكل الطبائع .

يا لبهجة الشاعر الحساس وقد ادرك عظمة الاحترام والحب يمثلان بالثورة للاحترام ، والغضب للحب .

واصاب الكاهن والقضاة ما اصاب الثائرين لاجلها ولم يعودوا الى حالتهم الطبيعية جميعاً الا عندما ، سمعوا عشتروت . تسكن ثائرة الشعب وتحذره من المغالطات وتحرك عقله للتفهم قائلة :

انتم فينيقيون . والفينيقيون يحبون الحقيقة و يحبون البحث . لقد قطعتم الجبال والوديان : المنعطفات والمنخفضات ، الغابات والاحراش لتسمعوا البحث وتفتشوا عن الحقيقة وها قد جاء الكاهن الاعظم من هيكل بعلبك الفينيقي ومن مدينة الشمس الجميلة

جاء مع الكهان والقضاة والحراس والجند ليباحثنا ويشاركنا في اختراع ما يفيد فاستمعوا له

شعر الكاهن الاعظم ان عشتروت تعنيه وتعرض به وتطلب مباحثته وتستدرجه لرأيها ، فسكّن غضب الشعب واعلن قبوله بما قبلت به ملكة الجمال والحكمة ٠

١٤

هنا ٠ احس الكاهن بعظمة المرأة اذا كانت حكيمة وبليغة

في وجهها جمال ، وفي عينيها نور

في شكلها ظرافة ، وفي لسانها طلاقة ، وفي حركاتها رقة

علم ان تاثير المرأة الحكيمة هو كتأثير الملوك والكهان وفوق تاثيرهم ،

علم انها تستعمر العواطف والعقول و بها تحكم

تستعمر العواطف بجمالها وظرفها وما يلمع من الجمال والظرف ٠

وتستعمر العقول بحكمتها و بلاغتها وما تحرثه في العقول ، وتبذره من البذار ، وتستثمره من النفوذ

علم ذلك فكاد يصعق في مكانه ـ لولا انه هز رأسه هزة الغربال بيد الطحان فابدعت تلك الهزة حركة كان لها من السلطة اكثر مما لخطاب بليغ ، ومن النصر والنفوذ اشد مما لجيش قوي

وذلك انه امر كاهن اليمين عبارة فامرها هذا بدوره لرفيقه والرفيق لاخر وتناقلت من فم الى اذن حتى بلغت الحلقة الاخيرة من حلقات الكهان واسرت للقضاة فالحرس فالجند ولما لقنت باذن اخر جندي — نهضوا جميعاً كالالة المتحركة بيد ميكانيكي بارع

نهضوا جميعاً وخشعوا امام الكاهن الاعظم ثلاثاً كما يخشع المتعبدون امام الالهة

ونهض الشعب فتصّيرهم - دون ان يعلم لماذا
لقد سجد سجودهم ثلاثاً وهو لا يدري لماذا يسجد ....
وكاد كاهن البعل ان ينال تمنياته من هذه الحركة ، و يستولي على العواطف والعقول - لوان عشتروت والحكماء والحكيمات سحروا بالتأثير الموروث وفعلوا فعل الجماعة — غيرانهم لم يسحروا

اما الشعب فلما انهى سجوده وذله ورأى ان عشتروت والحكيمات والحكماء لم يخشعوا مرت سحب صفراء فسحب حمراء بوجوهه هي سحب الخجل من الضعف والالم من تحكيم عادات الذل الموروثة ونظر كل منهم الى الاخر يسائله بعينيه معاتباً معنفاً

ماذا حدث ؟ ماذا فعلنا ؟ وكيف خشعنا ؟
وساد سكون عميق شوهد به يد الكاهن تتحرك مشيرة الى القاضي سمير فهز هذا سبابته الى الهاتف . فبوق الهاتف بصدفته الكبرى اصواتا متناسبة مثلثة .

وبينا كان حارس من حراس الكاهن الاعظم يهتف في الصدفة كان خمسة من الحراس يفتحون جلداً ملفوفاً امام القاضي سمير
حتي اذا تم الهتاف وتم النظام فتح الجلد وقرأ سمير التهم الموجهة

لعشتروت ومجمعها قال

١٥

ياعشتروت وامثال عشتروت من النساء والرجال اعلموا ان مجمعنا المقدس المؤلف من السلطتين الدينية والمدنية ٠ قد اوجب محاكمتكم للشكاوي الاتية

انكم افسدتم على الناس اخلاقهم ودينهم وشرائعهم وادابهم وعلمتموهم :

ان الشرائع تحول مع العصر ، وتعدل ، وتبدل ، وانكم تقصدون الشرائع كلها وفي رأسها شريعة الاله بعل — الشريعة المقدسة التي اوصى بها لاخصائه ، ورجاله الاطهار

و بلغت بكم هذه القحة حداً قصياً فجرأتكم على الطعن بالشرائع بعد ان قلتم بوجوب تحويلها

لقد طعنتم بها في انشودتكم التي علمتموها للناس

والتي تقول :

الفينيقيون عقلاء

والعقلاء للشرائع القديمة — لا يخضعون

وان فعلوا — فجهال بلهاء لا يعقلون — انبذوهم

انهم وجدوا لعصر قديم فني ذلك للعصر — اطمروهم

انبذوهم انهم للحياة لا يصلحون

وقلتم وعلمتم

انه

اذا تنافر العلم والدين وتناقضا

الاول صدقوه . والثاني كذبوه

ان الاول من الصادقين

يأمر بالبحث والتفتيش والتعقل

اما الثاني فبالايمان والرضوخ والتسليم — يامر

ان الايمان والرضوخ والتسليم — صفات الكسالى الخاملين

والكسالى انبذوهم و باكفان العبودية كفنوهم وادفنوهم

انهم للحياة لا يصلحون

فسمع همس بين الشعب يقول : هذا قليل من النشيد — هذا بعضه .

وكأن هذه الذكرى فجرت بركان غضب القاضي فصاح بكل صوته:

انفسدون عقيدة الشعب وتعيشون يا كفرة

فسمع صوت من الشعب يقول — برهنوا عن ضلالهم لا تهينوهم ايها القضاة .

هم علموا والشعب اراد وانشد — ان الفينيقي يجب ان يكون حراً

فاكمل القاضي قوله دون ان يهتم لصياح الصائح

* * *

وعلمتم

ان الجمال والبشاعة ، الذكاء والعقم ، الكبر والصغر ، القوة والضعف

١٢٨

النشاط والكسل —

ان هذه الصفات هي من المؤثرات الروحية والهيئة والمحيط لا من صنع الاله وان البشر يقدرون ان يبدعوا ويحولوا و يغيروا

يقدرون على ابداع الجميلين والحكماء والاقوياء ...

كأنكم اتصفتم بصفات الاله البعل المكون المبدع ايها الاشرار

* * *

وقلتم :

بسحق من لا يصلحون للعمل ونفي الكسالى والشحاذين وابعادهم

لتبرهنوا ان لا شفقة في صدوركم، ولا محبة للضعيف تخفق في قلوبكم

* * *

وزعمتم

ان المساواة يجب ان تعم بين الناس

والمساواة لم يوجدها الاله حتى بين اخوين من اب وام و بين ورقتين من شجرة واحدة فاين المساواة بين شخصين بالعقل والفكر والاحساس والفهم والعواطف والقامة والشكل اين المساواة اين ؟ وكيف يمكن ان تكون ؟؟؟ ...

* * *

اثرتم الشعب فقال بالمساواة في الازياء واللباس لتنفره من الكهان

والمخمين الذين يلبسون خلاف لباسه ويرتدون بغير زيه ٠

* * *

وقلتم ان الناسك المتعبد — صالح لا فاضل — اي اناني —
قلتم ذلك لتكرهوا الفينيقيين بالزهد وتبعدهم عن التعبد
بهذه المبادىء والشرائع بشرتم وعلمتم
بالمبادىء والشرائع التي تفكك ارتباطنا وتفسد علينا مستقبلنا
وتغضب الهنا
وتطربون الناس باساليبكم الخلابة ٠
الخلابة في ظاهرها ٠ المسمومة في جوهرها فيسير الناس وراءكم وهم
لا يدرون انهم الى الهوة — يسيرون
وتفرس القاضي بالشعب والجند كانه يتفحص سرائرهم من اشكالهم
وملامح وجوههم
ليعلم اذا كانت ساعة الانتقام قد حانت
فقرأت عشتروت غدر نظره ، ومغامز خطابه فخشيت ٠
خشيت ان تحرك عوامل التربية القديمة بالشعب فيثور عليها ، والشعب
عاصفة هوجاء اذا ما ثار
اذا ما ثار اوقد فتنة كان هو حطبها والحكماء والحكيمات وقودها
خشيت ذلك فاستفزتها الخشية وايقظت كل عاطفة من عواطفها
وكل قوة من قوى فاكراتها فمشت خطوات ٠ ٠ ٠ ، ووقفت ٠ —

وقفة منحرفة الجسم .

ان انحراف جسمها كان لجهة الكاهن الاعظم واتباعه . ولوت عنقها ناظرة اليه واليهم .

ناظرة بعينين متفجرتين — يلمع منهما اشعة تعنيف ناري واشارت بسبابة يمناها الى القاضي وقالت بلهجة ممزوجة برقة الفتاة

١٦

نعم . نعم ايها القاضي ويا ايها الكهان .

نعم — ان الفينيقيين عقلاء

والعقلاء لا يخضعون لغير البرهان والعلم

ما لفظت ذلك حتى دوى تصفيق شديد

ان الشعب طرب لا للفكرة بل لسماع صوت عشتروت وصفق لعاطفته فتحول بغتة تفجر عيني الخطيبة الى لمعان وتمثلت عظمة شخصيتها .

ولا شيء يكبر الشخصية ، ويهلل عقل المفكر مثل شعوره بالانتصار على خصم مناظر في موقف تتعلق عليه حياة امة او موتها ، سعادتها او شقاؤها فتابعت

قلت ايها القاضي

اننا علمنا الناس ان الشرائع تتحول مع العصر وتبدل واننا نقصد الشرائع كلها وفي رأسها شريعة الاله البعل

اجل . نحن نعلم ذلك ونبشر به

لان الشرائع تسن للانسان

تسن لهذا المفكر العاقل الذي ينمو مع الايام ، وتتوسع مداركه بالاختبارات والابحاث فيجب ان تطوّر شرائعه بتطوره ، وتتوسع بتوسعه وتتدرج في الترقي لتوازي عقله الراقي

فان ابيتم ذلك فانتم تنكرون عليه العقل والرقي والتقدم. انتم تنكرون عليه النشوء والارتقاء

انتم تعتبرونه جماداً يجب ان يخضع وانساله لاوامركم واديانكم .

وهذا هو الضلال المبين .

تسمون البشر الذين لا يؤمنون ايمانكم ، و يعتقدون اعتقادكم كفرة وتفرضون عليهم اما الايمان او دفع الجزية وهم صاغرون

فانتم تريدون ان يكره الناس على الاعتقاد بما تعتقدون ـ وهذا ما يكبر عنه الفينيقيون .

ونحن نقول ونعلم:

ان العلم يجب ان يكون الشريعة الوحيدة التي يركن اليها ،و يستند الانسان في حياته عليها

لان العلم يستقي بالبحث والاختبار والتفتيش

والدين يامر ، بالتسليم والطاعة والخضوع والايمان فاذا ما سرنا معكم عدنا الى العصور الوحشية

لان جميع اديانكم ايها الكهان لم توجد لنا معولا نشق به ارضنا —

لنزرعها ونأكل من نتاجها

ان جميع اديانكم لم تشيد لنا بيتاً نلتجيء اليه

نلتجيء اليه من الوحوش المفترسة ، والعواصف القاسية ، والحر المذيب .

ان جميع اديانكم لم تنسج لنا ثوباً يسترعرينا او تصنع لنا زورقاً نسير به فوق اللجج .

ومع ذلك تمنون البشر انكم تسعدونهم وتحبونهم

* * *

وتشكون اننا نعتقد ونعلم .

ان الجمال والبشاعة ، الذكاء والعقم ، الكبر والصغر ، القوة والضعف النشاط والكسل

ان هذه الصفات هي من صنع البشر وان البشر يقدرون ان يبدعوا ويحولوا و يغيروا

يقدرون على ابداع الجميلين ، والحكماء ، والاقوياء

نعم ذلك ما نعتقده ونعلم به

لان الجمال ثمرة الانتخاب الجيد والاخلاق الفاضلة

وجاذب الجمال نتيجة المعارف الواسعة والعدل في الافكار والاجادة في الفنون والطرب الفكري

الا ترون ان الحيوانات المفترسة ، والطيور الجارحة كريهة في منظرها منفرة في شكلها

الا تنفرون من الحية الخداعة ، والذئب المفترس ، والثعلب المحتال
الا تستكرهون شكل البوم المعتدي على صغار العصافير ، والنسر الخاطف اجملها وارقها صوتاً

انها جميعاً بشعة وبشاعتها منفرة لان اخلاقها شريرة ·

* * *

الا تستجملون الحملان والمعزى والخيل والحمام والعصافير
بلى · تستحسنونها وتستجملونها وتحنون اليها وتطربون بها
لذلك نعتبر ان الانسان الشرير بشع · واولاده يتمثلونه
والانسان الخير جميل · وابناءه يتصيرونه ·
والذكاء والعقم ايها الكهان
اليسا نتيجة الانتخاب وتمرين القوى العاقلة او اهمالها · او حدوث مرض يصيب الجسم فينال العقل حصته منه ·

يولد ابن العالم الصناعي ودماغه مستعد لقبول المعارف اكثر من الجاهل الكسل فاذا ما اهمل تمرين عقله واستخف بالبحث والتفتيش والعمل

اذاً ما اهمل ضعفت قواه ·

وانجب العقيمين في الجيل الرابع وقد يكون في الجيل الثاني او الثالث

* * *

والكبر والصغر ، والقوة والضعف ، والنشاط والكسل

سببها كلها شبع في الاجداد او جوع ، صحة وتمرين عضلي ، او مرض واهمال وخمول ، وحوادث سلامة وقوة اثناء الحمل والرضاع او مرض ومؤثرات وخوف ورهبة ·

تبصروا ايها الناس وتفكروا ايها القضاة بالاشخاص الذين تعرفون ، دققوا في حياتهم وهمتهم وذكائهم والمؤثرات التي طرأت عليهم — تدركوا اننا بحثنا عن الحقائق فعرفناها فقدسناها فعلمنا :

ان صفات البشر من صنع البشر ، وانهم يقدرون ان يبدعوا ويجمّلوا ويكوّنوا

وتلفتت في الشعب متبسمة فارتفعت اصوات الشعب بالتهليل ، وتحركت ايديه بالتصفيق ·

كانت عشتروت تستنير فكرها وتراجع ذاكرتها وتباحث عقلها بين تحية الناس وضجيجهم ·

فعلت ذلك بين الضجيج

لان النابغ اذا ما تحول لتحليل فكرة حللها مع سماعه الرعود ومشاهدته البروق

انه يشتغل بالعقل الثاني ويفتكر بعقله التفكيري الذي اقتبسه بالعمل والتمرين ·

وهكذا فعلت عشتروت

وبعد ذلك ؟

وبعد ذلك عادت الخطابة فقالت :

وذكرت ايها القاضي بلسان مجمعكم اننا نعلم بابعاد من لا يصلحون للعمل، ونفي الكسالى والشحاذين

نعم لقد علمنا ذلك ونعلمه لكي لا تكون فينيقية وطناً للصعاليك الذين لا يصلحون للحياة

لا يصلحون للحياة اليدوية او الحياة العقلية الالية

اذ اي فائدة من وجود هؤلاء وامثالهم . ان نفيهم يخفف وطأتهم ويريح مواطنيهم

لقد علمنا ذلك لكي لاتكون فينيقية الشريفة وطناً للشحاذين والكسالى وطناً لصغير النفوس، ضعفاء الهمم، وطناً للقذرين . وطناً لقطيع ابتلي بالجرب . . . . فهل من يحافظ على جمال وطنه وقوته ونشاطه يعد مجرماً يا ايها الكهان ويا ايها القضاة .

نحن نعلم انكم لا تحبونهم، وانكم لا تضحون قلامة ظفر لاجلهم بل تتخذونهم سلاحاً لجمع المال ومتاعاً للمتاجرة

نحن ايها الكهان والقضاة

نقول بالعدل لا الشفقة — ننادي بالانصاف لا الرحمة

ان الشفقة والرحمة — لفظتان اوجدتموهما شركاً للتعيش وموضوعاً للخطابة

ان الانسان المفكر العالم يقول بالعدل والعدل وحده يكفل النظام

والحياة والشرف ٠

فما تسمونه شفقة ورحمة واحسانا ليس هو كذلك

لان الانسان اما ان يفعل الخير حباً في الظهور - فهو يعدل انانيته انانيته التي تحب المجد والعظمة والفخفخة اويفعله لألم احاط بشعوره فهو يفعل الخير ليرفع الالم عن نفسه وبهذا

او لاعتقاد انه يكافأ في العالم الاتي

وهذا شر الصفات التي يثبت ان لا مطامح في دماغه ولا شعور سليم في قوى عقله ٠

* * *

واعلنتم في محاكمتنا اننا نقول

ان المساواة يجب ان تعم الناس

اجل ٠ نحن نقول ذلك ونبشر به لاننا لا نقصد بالمساواة ما تفهمون لا نفهم المساواة بالشكل والعواطف والعقل والعيون والشعر والذقون بل نفهم المساواة بالكيان الحر

فبالكيان الحر نحن متساوون و بهذا الكيان نجد المساواة

ومن الحرية التي تساوينا تتولد الحقوق والواجبات

فالواجبات التي عليّ هي احترامي لحرية اي منكم لاتمكن من حريتي والحق الذي لي هو احترام اي منكم لحريتي لتتمكنوا من حريتكم

و بالقياس المعقول الطبيعي تكون واجبات كل منكم هي حقوقي ، وحقوقه هي واجباتي ومن هذا تتولد الواجبات وهكذا نفهم المساواة .

* * *

اما قولكم ، اننا نطلب المساواة في ازياء اللباس فلكي تكونوا كالبشر لا كالطواويس تستلفتون الانظار بازيائكم المختلفة

ولكي لا تزرعوا الكره والحقد والتفرقة بين اصحاب المذاهب المختلفة . والاديان المتعددة . بالوانكم وعمائمكم وقلانيسكم

ولان اديان ومذاهب الشعوب التي تحيط بنا هي غير اديانا ومذاهبنا وهي تختلط بنا كثيراً وتختلط بها افتريدون ان تذكروهم عند مشاهدتكم انكم على خلاف رأيهم وانكم تعتقدون غير اعتقادهم وانكم لهم اعداء في الفكر والرأي والعقيدة

اتريدون ان تزرعوا الكره والتفرقة لتستثمروا القتال والحرب وثمة تتمتعوا بامتيازات ليست لاحد من الناس .

والفرد الذي يطالب في وطن امتيازات يفسد الوطنية اذ لا وطن حيث لا مساواة

نعم . نعم ان طالب الامتيازات في الوطن الواحد يكون خائناً لوطنه ممتهناً لحق بلاده وابنائها الشياطين

وانتم . انتم ياسادة ! تتمتعون في هواء البلاد كما يتمتع غيركم ، وتأكلون من ثمارها وجهود ابنائها ثم تعفون من الضرائب وتنادون

بامتيازات لتعيشوا فوق الناس وفوق الشرائع المدنية ٠

والبلاد التي تقسم الى اسياد وعبيد هي وطن عبيد ذل وعار لا وطن رجال احرار

٠ ٠

لقد زرعتم الكره في صدور اطفالنا اكراماً لطاووسية لباسكم ؟

البسوا كالبشر اذا كنتم بشراً

البسوا كالرجال اذا كنتم رجالا

انكم تتزينون بزي الطيور والنمورة وتفاخرون برجوليتكم

انكم تزينون رووسكم وصدوركم كالنساء اللواتي افسدهن المحيط وضلهنَّ الجهل ، ٠ ٠ ٠ ٠

* * *

وقلتم في شكواكم اننا نعتبر الناسك صالح لا فاضل

اجل ، تلك هي الحقيقة — لان الناسك يعيش لنفسه و يعمل لانانيته

يبتعد عن الناس وعن العمل

بينما الفاضل يشتغل لنفسه وللناس وللقريب

ان الزارع الواحد —

ان زارع الحقل الذي يحرث و يستثمر و يطعم الناس

ان هذا الزارع الفرد هو افضل من كل نساككم لانه انفع منهم

جميعاً ...

ما وصلت عشتروت الى هذا الحد حتى نهض الشعب مجمهراً وحملها على اكتافه وخرج الى شوارع صور يترنم ، بالاناشيد الفينيقية التي نظمها شعراء عصر الحكماء والحكيمات . الاناشيد التي لم ينشد اسمى منها شاعر حتى في يومنا هذا :

لقد كان الشعب يترنم بانشودة فينيقية القائلة

نحن عشاق الجمال .

نفتش عنه في العمل والحكمة والادب .

نحبه مصوراً بالوجه

نعتبره ممثلا في المرأة

في الحقل في النول

نحن عشاق الجمال

جنود البحث والعلم

نحترمه متجلياً في الحكيمات والحكماء

في نشاط العصب

نقدسه في خدمة المنزل

في مقاومة الطبيعة الشريرة

نحن عشاق الجمال

كلنا جنوده وجميعنا لاجله نستميت

ذلك ما فعله الشعب

١٧

اما كاهن البعل الاعظم واتباعه والقضاة وجنودهم فانسلوا الى البساتين وفروا في شعاب الجبال

وقد خسر الكهان في هذه المحاكمة سلطتهم الكهنوتية المطلقة، والقضاة سؤددهم المجيد

وابتدأ سقوط هذه الكفة برجحان الكفة الثانية ·

ابتدأت كفة حكم العمال واصحاب المهن ورجال الفكر والنشاط — بالرجحان

ابتدأت بناية المدنية العظمى التي انتشرت في العالم وغيرت اطوار الانسان وعقائده وميوله واخلاقه وعقله ·

ومر شهر على هذه المحاكمة لم يكن للفينيقيين حديث في نور النهار وانحجاب الشمس سواه

وبلغ ايمان الفينيقيين بالحكيمات والحكماء ان اعتبروهم مادة امل ورجاء — يرجعون اليهم في ضيقاتهم، ومصائبهم، و يستشيرونهم في ادابهم وعلومهم وسنن حياتهم ·

والايمان يفعل في الانسان فعل التنويم المغنطيسي في المنوم · لذلك تلقى الفينيقيون الدستور الذي سنته عشتروت والحكيمات والحكماء كايات مقدسة انزلت عليهم،

وما هو ان عملوا به بجد ونشاط حتى اصبحت فينيقية مصدراً للنور الذي اقتبست البشرية مدنيتها منه ، وتغذى به الحكماء في حكمتهم فاستعان به داوود في ادارة مملكته ، واستظل سليمان في مجده *

---

* كتب العالم بوجلا الافرنسي في كتابه « مراسلات الشرق رسالة ١٣٧ »

ان ما يدهش في اعصر صيدا القديمة انما هو ذكاء اهلها ومقدرتهم على الاختراع وعلمهم بالصناعة وقد اطرأ هوميروس الصيدونيين

فقال انهم اهل لكل شيء فاقدم التواريخ تتوج ابناء صيدون بالفخر والمجد .

لقد كانت ارضهم مهداً للعلوم مهداً للصناعة فاعدت اسباب الحضارة في المعمور .

يمكن ان الفينيقيين اقتبسوا بعض المعارف عن الهنود والفرس واليبانيين ، واقتبسوا بعض التقاليد لكن ما لم يخترعوه فقد اكملوه ، اقتبسوا شرارة فابدعوها شمساً . والحق يقال ان هذا الشعب جاد علينا باكثر المنافع فمصر القديمة جعلت حكمتها وعلومها اسراراً فكانت تحجب علمها لئلا ينبعث نوره لارض سواها واما فينيقية فانها اضاءت بنورها الارض لذلك تتراءى لي مصر في اعصرها الخالية ككاهن لا ينطق بشيء بل يخبيء نوره المقدس في اعمق هيكله واما فينيقية فاراها

١٩٤٣

اما ذلك الدستور المجيد فقد جمع بالمواد الاتية :

١٩

١ — ان غاية الفينيقي من الحياة . هي ترقية عقله ، وتوسيع مداركه

٢ — ان العقل لا يرقى والمدارك لا تتوسع الا اذا افتكر الدماغ بحرية ، وعمل بنشاط ، ولا يقدر على الافتكار بحرية الا بمساعدة الشرائع

فشريعة الفينيقي انه حر بما يعتقد ، حر بما يقول ، حر بما يبحث .

٤ — يحق لكل فينيقي ان يشترك في سن الشرائع الوطنية اذ لا وطنية حيث لا مساواة

٥ — لا يحاكم الفينيقي لاجل فكره وان خالف بفكره شريعة الالهبعل

٦ — ان القوة الحقيقية هي قوة العصب فمن لا يقوي عصبه يجب ان ينفى من فينيقية ويسقط من جميع الحقوق الوطنية . كما ينفي السكير والمقامر والمعتوه ويمتنع كل منهم من الزواج

٧ — ان الشغل من الواجبات المحتومة على كل فينيقي لانه الموصل الحقيقي لغاية الحياة وسواء كان الشغل يدويا ام عقلياً فمنزلته من

شبيهة الالهة القدماء الذين كانوا يرفعون على رؤوسهم شارة في وسط البحار . وحسب فينيقية فخراً انها اسست للمدنية الملاحة واخترعت الكتابة » *

الشرف واحدة ومن لا يشتغل لا يستحق ان يكون فينيقياً لذلك ينفى

٨ — ان الزواج امر محتوم على كل سليم في عقله ، قوي في بنيته

٩ — على فينيقية ان تستعمر العالم — دون حرب — تستعمره ، بالصناعة والتجارة ونشر العمران واستثمار الارض ، واكتشاف المعادن

١٠ — كل فينيقي يستكشف معدنا او ارضاً او علما او صناعة ينقش له تمثال و ينصب في الهياكل و يلقب بابن الاله ، الخالد .

ولهذا تعددت الهة الفينيقيين

ونظم الشعراء ، معنى هذا الدستور الجميل في قصائد متعددة غنائية وعلموها للمنشدين .

فسار هؤلاء في المدن والقرى يطربون الناس بمعانيها الجميلة وانغامها الرقيقة

٣٠

لم يمر سنة حتى اصبحت تنشد بفم الراعي والعامل ، والفلاح والصانع بفم الكبير والصغير ، والمرأة والرجل ، العاشق والمعشوقة

اصبحت تنشد بفم كل فينيقي وفينيقية وترنم على شباباتهم حيثما ذهبوا و كيفما اتجهوا .

* * *

وتوفرت المصانع في فينيقية ، وعمت صناعة النسيج البلاد ، وزرعت

جميع الاراضي ، واستثمرت المعادن وارتفعت الابنية الشاهقة وكثر عدد طلاب الحكمة والمعرفة وازدادت السياحات والاكتشافات واحس الفينيقيون بسعادة العمل وتقويته للجسم والعقل ، فعظموا حكماءهم وحكماءهم ، ونظموا بحكمتهم الاناشيد ، وعلموها لجميع الشعوب التي مدنوها وهذبوها

٣١

وبينا كانت عشتروت تُمجد بعملها والفينيقيون يظنون انها سعيدة وعظيمة كانت تقضي ساعات متأملة تسير في الغابات ناظرة الى الافق البعيد كانها تفتش عن شخص تعرفه ولا تعرفه

تفتش عن قوة كامنة في داخلها

وشعر الحكماء منها بذلك

فعقدوا مجتمعات الطرب والانس فلم تطرب ولم تانس

ترنموا بمجيد اعمالها فلم تُمجد

قدموا لها التحف والجواهر التي جاء بها مواطنوها من ايطاليا واسبانيا وافريقيا

فلم تحفل لها لان داخلها كان منقبضاً ، وحياتها كانت منغصة

ولحظ هركيل احد الحكماء يوماً انها تطرب بمجالسة ربة امرأة ابون .

لحظ ان عينيها تلمعان بالدموع عند مشاهدتها · واسرتها تبتهج وعصبها يرقص ·

وشهد انها تحزن عند فراقها وتظل ساعات ساكنة تنفر من محدثيها وتتشوق للخلوة والوحدة · فشك في داخله

فقاده هذا الشك للتقرب من ربة ومصادقتها · فباحثها عن معيشتها العائلية · فاسرت اليه تعاستها بولدها وعن تيهه في الجبال

وما هي ان ذكرت الم ادونيس وانه حضر المحاكمة في صور واطلق السهم الذي شك في كتف حارس الكاهن الاعظم حتى تخيل حوادث عشتروت وتصور نظرات عشتروت لذلك الشاب وعطفها عليه واعجابها به فقال في داخله

« ان عشتروت عاشقة وعشيقها ادونيس »

وتلوّن وجهه بغتة كانه ارتكب منكراً فترك ربة دون ان يقول كلمة الوداع وسار يحاكم نفسه هكذا

* * *

ايصدّق ان عشتروت التي يكرمها الحكماء ويترنم باسمها الشعراء ويذوبون شوقاً لمجالستها — تعشق ؟

ايتصور ان الفتاة التي يؤلهها الشعب وينقش تماثيلها الجميلة النقاشون وقد نقل الصيادون والبحارة تماثيلها المنقوشة الى مصر وفلسطين واشور والهند وافريقيا واوربا فعبدتها الشعوب هنالك والهتها — تحب وتعشق ؟

ايعقل ان عشتروت بعظمتها التي اشتغلت اربع عشرة سنة في الحكمة والعلم دون ان تكترث بالمئات الذين بذلوا المهج امامها تحب صياداً شاباً ؟؟

ايعقل ان عشتروت التي انتصرت على كاهن البعل البعلبكي والقضاة الفينيقيين وغيرت معتقدات الالوف — تحب وتعشق ؟؟

ايمكن ان الحب يرقد الى سن الثلاثين ثم يستيقظ دفعة واحدة فينسي عشتروت الحكمة بسموها والعظمة بصولتها ، والمجد بلمعانه ويحول قواها وافكارها للحب والعشق والتدله فتنفر من الاصدقاء وتتيه في الاحراش ؟؟

ايمكن ان الدماغ المملوء حكمة وتعقلا وتبصراً

الدماغ الذي يخرق بعينيه الاجيال والعصور ، والانسال ويبدع الشرائع الخالدة

ايمكن ان دماغا كهذا يكترث للحب ويذل امام المحبوب ،

٢٢

في اليوم الثاني ترك بيته فنزل باكراً ولحق بعشتروت متسلقاً الجبال هابطاً الوديان .

وما هو ان وصل لمصدر ينبوع النهر الابيض القلب (ادونيس) حتى تحول الى غاب .

في ذلك الغاب شهد العصافير والغزلان تحيي عشتروت وتقبلها .

وعشتروت تنظر بنظر تائه الى شجيرات صغيرة وتتنهد

تتنهد وتشير باصبعها قائلة : هنا . هنا ظهر خياله للمرة الاولى

وتندفع نحو الشجيرات متشنجة العصب . حتى اذا لم تجد احداً اتكأت الى صخر وتنهدت وبكت

بكت بكاء مراً

رغب هركيل ان يقترب منها وان يباحثها ولكنه قبل ان يخطو وقف كالمأخوذ على سماع انشودة غرامية تترنم بها عشتروت من قلب يرتفع ويهبط في صدرها . وهي تنظر الى قلب الغاب كانها تريد ان تخترق لب اشجاره وداخل صخوره

ساعة كاملة مرت على عشتروت . وهركيل يشاهدها ويتهيب مخاطبتها

ومما زاد موقفه رهبة ان الطيور والغزلان وقفت عند غنائها ونظراتها محترمة ، تحدق بها ولا تبدي حراكا فجال في فاكرته ان الطيور والحيوانات تحترم عشتروت وتتألم لالمها .

فشارك الطيور والحيوانات باحترامها

ووصل الى شاطئ البحر عند مصب النهر لاحقاً بعشتروت . وصل في نصف النهار

وصل تعباً يشعر بضعف ويحس بحاجته للنوم . وللنوم قوة على الانسان هائلة

اذ يمكن ان يجوع اياماً وان يتعب اسابيع ولكنه لا يقدر ان يعيش دون نوم اياماً . انه ينام بين الحديد . ينام واقفاً في مكان ضيق لا

يسع سوى جسمه . وهكذا نام هركيل

نام ولم ينهض سوى في صباح اليوم الثاني

نهض في صباح اليوم الثاني شاعراً ان كل عصب بدفعه وكل خيال يبعث به الى منزل عشتروت .

سار. دخل على اميرة الحكماء في مخدعها . القى تحية الاحترام الممزوجة بشدة الاعجاب .

حياها كما يحيي العابد معبوده

خشع امامها كما يخشع عبدة الملوك امام ملوكهم المتألهين . فاجابت تحيته بابتسامة واشارة

لم يجرأ هركيل ان يبتدىء الحديث اللفظي بل حول نظره اليها محدثاً بلمعان عينيه ، مخاطباً بحركة شفتيه

وكثيراً ما يتخاطب الشاعرون بهاتين اللغتين فيتفاهمون ؟

وبهما فهمت عشتروت

فهمت ان هركيل يحس بما يختلج في داخلها ، ويتعب عقلها وعواطفها وعلمت ان متابعة التكتم يذيب ما بقي من قواها العاطفية ويضعف ما عظم من مناطقها العقلية ، فجلست اليه بين التقطيب والتنهد والدمع

جلست للاعتراف فقالت

يظن الفينيقيون ايها الصديق والرفيق ، ويعتقد الناس ان عشتروت سعيدة

لانهم يتصورون السعادة بالشهرة والمجد والنصر
انها بالحكمة ، والعلم ، والمال
انها بالحاكمية والملكية ٠

قدتكون هذه المفاخر من مسبباتها لانها تشبعُ ميول العقل ، وجنائن الامال والاحلام يا هركيل

نعم ؟ انها تفعل ذلك ولكن في الدماغ قوة لا تشبعها الحكمة ٠ ولا ترضيها الملكيّة ، ولا تطفئُ نيرانها المشتعلة — امطار الشهرة والمجد والنصر
تلك القوة هي قوة الحب

ان حياتنا تظل مظلمة وهي تستضئُ بجميع الكواكب
وكوكب واحد نستمد منه النور الحقيقي فتنظر مشاهد الحياة كلها
هو كوكب الحب ،

آه يا هركيل ما اظلم الحياة وما امرها بدون الحب ٠

وما اتعس حياة عشتروت اذا جلست على جميع عروش العالم ولم تتمتع بعرش الحب ٠

لا انكر ان سيادة الحب لا يجب ان تمتلك العظماء ولكن فقدانها من صدورهم — يصغرهم

ولا تقل ايها الرفيق اني بلغت الثلاثين دون ان اشعر بالحب
طالما كنت اشعر به واتلهى عنه بما علمت لقد قدرت ان الطف هذه العاطفة ان اخفف من ثورتها ولكني لم اقدر ان انزعها من دماغي

لم اقدر ان اميتها .

واصبحت رسومها في ذاكراتي ومخيلاتي محفورة

وهل في استطاعة انسان ان ينزعها منه او ان يقتلها .

هل تقدر امرأة او رجل ينظر و يحس و يشعر ان يعيش دون حرب مع هذه العاطفة . قل يا هركيل اوجد او يمكن ان يوجد

تمهل هركيل في داخله لان ظنه حقق ، وفكرته صدقت فقال

ان طائفة من بني الانسان ايتها الحكيمة تعتقد انها تغلبت على الحب واماتته

وطائفة اخرى قالت ان دور الحب يموت في الشيخوخة وان لم يظهر في الشباب والرجولية .

هذا ما يقوله فريق من الناس وذاك ما تعتقده طائفة من بني البشر

فقالت عشتروت

ان اعتقاد الطائفة الاولى تمويه وتضليل — لان عاطفة الحب تلازم العمر فلا تموت سوى بجنون العقل او اعتلال الجسم او اختلال الاثنين معاً .

ان العقل الصحيح يحب . والجسم السليم يشارك العقل الصحيح اما زعم الفريق الثاني فهو زعم خرافي كاذب لان الحب في الهيكل الصحيح — عقلا وجسما — ان لم يلعب دوره في ايام الفتوة والرجولية لعبه

في ايام الشيخوخة . فلا بدّ للانسان من المرور بهذا المطهر مهما حاول ان لا يطهر . ان الحياة دون حب كالشجر دون زهر وثمر

العاطفة الغرامية كغيرها من العواطف تحتاج الى نور الشمس واشعتها

وانّ العلوم على انواعها والفلسفة مع قوة تحليلها ،

العلوم والفلسفة والممالك تظل مظلمة اذا لم تستنر في اعمالها باشعة الحب

اتظن ايها الرفيق والصديق اني تمكنت من الفوز في تلك المحاكمة المشهورة لولم يجوهر افكاري و يثير عقلي — نظر ذلك الشاب اللطيف الجذّاب الذي اطلق سهمه على حارس كاهن البعل .

قالت ذلك ورقص نظرها وظهر الانس على وجهها فزادت بهجة تقاطيعها ، وخفت حركاتها ، واخذت تشرح العاطفة ببلاغتها الخلابة .

فعلم هركيل ان هذه المملكة العاطفية لا تتفوق عليها مملكة اخرى وانه لا بدّ من تسيدها اعواماً

لا بد ان تظهر في دور من ادوار العمر لامعة .

وعلم ان الشاب الذي تحبه كبيرة الحكيمات عقلا واوسعهن شهرةً ، واعمقهن فكراً — انما هو اودنيس وتراءى له ان الحديث عن ادونيس يطربها و يبهجها فصح عزمه ان يسألها رأيها في ما يجهل من ادوار الحب

فقال

٢٣

كيف يختار المحب محبوبته ايتها الحكيمة

ان المرأة تشاهد المئات من الشبان . والجميلة منهن يتودد اليها الالوف ، فيتقربون منها ، و يضحون لاجلها ، و يذيبون ادمغتهم و يقتلون وقتهم سعياً وراء خطب ودها فتميل لفريق منهم وتنفر من اخر وتستلطف قسما ولكنها لا تعشق احداً ثم يحدث انها تشاهد شاباً فتميل اليه ، وتهيم به ، و يبلغ حبها له حد التدله .

فما معنى هذا ايتها الحكيمة

وماهو الدافع لذلك، وكيف تتآلف العواطف وبشتبك الفكر بالفكر

فاي المحبين تألم = تألم الاخر

وايهما شقي ام سعد . شقي الاخر ام سعد

ما هذا السر ، كيف نحله ؟ وكيف نفهمه ؟

صدق ظن هركيل واصاب موضع الألم من عاطفة عشتروت وجمع اشعة الافكار التي تشغل دماغها ، وترأس افكارها فقالت

— يظهر ايها الصديق هركيل ان لتقارب الاشكال والطبائع وتناسب المعارف والذكاء والاحساس والميول والاخلاق والعادات تاثيرها الشديد على هذه العاطفة .

فمن تماثلت بهما الاشكال والطبائع والمعارف والذكاء والاحساسات والميول والاخلاق والعادات تحابا

ومن تقاربت بهما بعضها تقاربا فاذا وقع الاختيار وظهر التناقض تنافرا وتناسيا

ومن تباعدت بهما تشاكسا

فشبيه الاسد لا يحب شبيه الحصان بل شبيه الاسد يحب .

والعصبي لا يميل الى اللمفاوي بل الى العصبي يميل

والعالم الباحث ينفر من الجاهل المتعصب

والذكي يفر من العقيم

والفكاهي يبعد عن الجدي

والكبير الذاتية يترفع عن صغيرها

والكريم عن البخيل

والعامل عن الكسل

والصادق عن الكاذب

فاذا تكيف احد المثلين باخلاق الاخر وصفاته وعاداته تكيف الى وقت

— واذا تكيف

ثم اثبتت الحياة العملية ما يخالفها ، تخاصمت مملكة المحبين فتحاربا

فكانت ايام العشق معدودة ، وزمانه محدوداً . فان لم ينقلب الى

كره ونفور تحول الى تباعد ونسيان ·

٣٦

واظن انك تعلم حادثة الشاعر ابولون وخطيبته ارغست انها تمثل ما ذكرت من الحقائق

ان ابولون عشق ارغست وتدله بحبها — ووصفها باجمل الكمالات ولكن · عندما شهدها في القارب البحري ترمي ابن « العبدة » في البحر لان الطفل بكى في حضن امه فكر على ارغست مغازلتها كرهها — ارغست وقال لها عندما بلغت الشاطيء ـ · ان ارض فينيقية لم تحمل فتاة ابشع منك يا ارغست

وقطع منذ ذلك الحين كل علاقة معها · والغريب ان ابولون الذي كان يعتقد ان ارغست اجمل فتاة اصبحت بنظره ابشعهن · واكد بشاعتها

ذلك ان التآلف بالاميال والاخلاق والعواطف والشعور يمثل الجمال والمفاخر

واذا تبصرت في اخلاق العاشقين ومعشوقاتهم · اذا تبصرت بروية قلت بصواب ما ذكرته لك :

« ان لتقارب الاشكال والطبائع وتناسب المعارف والذكاء والميول والشعور والاخلاق والعادات تاثيرها الشديد على هذه العاطفة » على عاطفة الحب

. لقد كانت عشتروت تشرح ذلك وهي تصور ادونيس بدقة شعوره ، وكبر ذاتيته ،

تتصور ذلك فتراه اعز من الشهرة والعظمة والمجد . احب من الحكمة والعلم والفن . لان التفكر به يثير تلك المفاخر ، وينهض بهاتيك العلوم

ونهضت بغتة كان هاتفاً يقول لها الى الغاب ياعشتروت .

وتنصتت لتتأكد ما يقال فسمعت الهاتف يردد — الى الغاب يا عشتروت — فسارت ...

ما هي ان اقتربت من منبع النهر حتى نظرت الى الضفة كالمأخوذة وارتجفت ركبتاها واصفر لونها

ذلك انها شهدت ادونيس يغسل رجليه في مجرى النهر و يلعب في امواجه و يحادث تموجاته ثم يحدق في الغابات تائهاً في عالم الخيال

ما هي ان صوبت نظرها اليه ووقفت ذلك الموقف الرهيب حتى اخذ يتلفت الى كل جهة متمتماً . احس برائحة طيب ، احس برائحة تخدر الجسم فمن اين جاءت ، وكيف عبقت . و يعود فيتلفت مفتشاً . حتى إذا مثلت لديه عشتروت اضطرب اضرابها . واصفر اصفرارها وارتجف رجفتها وتقابل النظران فتناجيا . ولم يخلصهما من دهش الموقف وخطره سوى تغريد العصافير وسجع الحمام ، وصفير الطيور . التي تجمعت

مرفرفة فوق رأس عشتروت كأنها شعرت بحراجة الموقف فملأت الفضاء بتصفيق اجنحتها وفوضى اصواتها ٠٠٠

مرت ايام تخاطب بها المعشوقان في الغاب بلغة النظر، وحركات الفم ...

* * *

بعد مرور شهرين على هذه الاجتماعات اصبح حديث عشتروت وعشيقها ادونيس في فم كل فينيقي وانتقل مع البحارة الى مصر وقبرص ورودس وايطاليا وجبل طارق و ٠٠٠ وسار مع تجار اليابسة الى اشور وفلسطين وضفاف الفرات وبلاد العرب فشغل الناس عن كل حديث اخر

والناس يتحدثون عن الجميلات كما يتحدثون عن المشاهير ٠ يتحدثون عن حركاتهن والفاظهن ولفتاتهن مئة مرة قبل ان يتحدثون عن البشعات مرة واحدة ٠ ويختلقون لهن ما لم يفعلنه فكيف اذا كانت الجميلة عشتروت الحكيمة المشهورة التي بدلت الانظمة ٠ واشترعت الشرائع ومثلت في عشقها اجمل روايات الحب في غابات لبنان وضفاف انهره وقلب جنائنه

وعرف كهان بعلبك سر الحب فاكتشفوا طريقة النصر واسروا بعضهم « هذه فرصة سانحة فاغتنموها ٠ اذا قتل معشوقها ضلّ عقلها »

والمجربون يعرفون ما لا يعرفه الخياليون !!

٣٥

بعد مرور ستة اشهر على الحوادث الاخيرة فقد ادونيس واختفت جثته .

* * *

اشاع الكهان والخصوم والمحدثون ان معشوقاً آخر لعشتروت اسمه المريخ غار عليها من ادونيس فحل في جسم خنزير بري ونهش ادونيس فقتله وافترسه — وللعظماء في كل عصر خصوم ادنياء يجرمون ثم يكذبون ويغتابون ويختلقون .

* * *

صدقت نظرية الكهان فان عشتروت حزنت على ادونيس حزناً فت عظمها ، وشاركها الشعب الفينيقي في عاطفتها فاكبر المصاب به وكرم اسم ادونيس اكراماً لم يكرمه من قبل سوى لالهته

والعاطفة الشديدة اذا تحولت وان الى ضدها — تحولت بذات القوة التي كانت لها — عندما كانت تخاصم .

واندفع النقاشون فنحتوا تماثيل متعددة نصبت في ساحات فينيقية . تلك التماثيل والنصب التي لم يبق منها ماثل سوى ما نقش على صخر في

الغينة من معاملة الفتوح ٠

٢٦

وادركت عشتروت ان مقتل ادونيس انما هو خدعة من خدع خصومها ، واسلوب من اساليب دهائهم فكبر الامر عليها ، وعظم الخطب ٠

بثت رجالها يفتشون و يبحثون — فوجدوا الجثة التي طمرها اعداء النور والحب فاهتم الفينيقيون للجثة المكتشفة ٠٠ ٠ بالغوا في الاخبار عنها واعلنوا ان ادونيس بعث من قبره فتدس الشعب ذلك البعث بعد ان نقل الجثة الى جبيل وطن ادونيس ونقش رسمه يرمز عودته الى الحياة في مكان يدعى المشنقة من تلك المدينة النار يخية ٠

وهكذا اقاموا لادونيس عيدين ٠

الاول يمثل موته اذ يضعون تمثاله في ناووس وهو اصفر اللون ٠ والدم يتدفق من جرحه ٠ ويجمع الاهلون من كل صوب على اصوات القيثارات ثم يسيرون مواكب ٠ النساء في المقدمة فالرجال فالاولاد كلهم يرتدون ثياب الحداد دون مناطق على وسطهن وعندما يتممون الاحتفال في المساء يقص النساء شعورهن حزنا عليها

٢٧

وقد انتشر اعتقاد بعثه عند المصريين واليونانيين والرومانيين فكانت تلك الامم تحتفل احتفالات شائقة مشهورة ٠

وهكذا يكبر الظلم الذي يقع على الرجل — الرجل — ويعززه ويخلده وقد يؤلهه

٣٨

واذاب الحزن جسم عشتروت وفت قواها فماتت بعد موت ادونيس بثلاث سنوات

ماتت عشتروت الهة الجمال والحكمة والفن بعد ان جعلت فينيقية مصدراً لمدنية العالم ، ونوراً للحكم الشعبي .

لقد اسست في ذلك التاريخ البعيد ما تفاخر به ام القرن العشرين .

اسست وطنية فينيقية من شعوب متعددة : من بقايا الكنعانيين ومن عشائر الصماريين والسبتيين والارواديين .

من بقايا الشعوب والقبائل المتعددة — تألف وطن قومي . حكم بالشكل النيابي

فمدن فينيقية الشهيرة : بيروت وجبيل وبعلبك . . . كانت تحتفظ بحكوماتها واستقلالها وترتبط في صور العاصمة .

وطريقة الحكم كانت ملكية مقيدة بمجالس عامة مؤلفة من اغنياء الشعب وحكمائه وعامته . وملوك المدائن مع استقلالهم بتدبير شؤونهم يقرون لملك صور بالسيادة على الامة كلها . ويدعى بملك الصيدونيين وان اقام في صور .

ذلك ان الملك كان يهتم بجميع المصالح · يوقع العهـود ، و يقود الجنود البحرية والبرية و يباحث نواب المدن

وقد استعمر الفينيقيون معظم اقطار العالم خمسة قرون دون ان يسفكوا دماً او يعلنوا حربا او يقتلوا امة · لقد استعمروا العالم بصناعاتهم وثروتهم ومعارفهم وعاداتهم واخلاقهم ومعتقداتهم وعلومهم وفنونهم

اما عشتروت زعيمة هذه الحركة التي اسست عظمة فينيقية وبثت روح النشاط والاستكشاف في العالم فقد الهت وعبدت باسماء متعددة ·

عبدت باسم هرمونية و بو وديده وهيلانة واورية وايزيس والزهرة وافروديت ...

وحكمت ثلاثين جيلا لم ترقص قصيدة شاعر في الاجيال الثلاثين ولم يطرب لسان خطيب ، ولم تتحرك ريشة مصور ، ولم ينقش ازميل نقاش الا اكراما لها ؟ وهياما بها ·

والعالم في كل ادواره وبالرغم من تطورات اخلاقه وميوله ما زال يعبد الجبابرة ، و يقدس الابطـال وان اختلفت اشكال ، العبـادة ، وتلونت صور التقديس ·

* * *

١٦١

الفلسفة والسياسة

« ديوجين وارستيب » *

هناك في مدينة ديوجن ، وامام منزله البرميلى ، وفي تلك العصور البعيدة — التقى الفيلسوفان — ديوجن وارستيب . وهناك جرت المناظرة بين جبارين من جبابرة الفكر ، وفارسين من فرسان الحكمة .

* * *

ديوجن — ماذا ؟ . . . ارستيب الفيلسوف الذي يذيب منارة حياته في بلاط طاغية — اشاهد

ارستيب — نعم ارستيب — ياديوجن — لان الفيلسوف يجب ان ينير بذكائه المشتعل الاقبية المظلمة — فيعيش حيثما يحتاجه الرجال

ديوجن — اذن ارستيب يعيش راضياً حيث يسكب عقله في بوتقة المخادعة — اكراماً لقاهر سيرا كوزا ونقرباً منه

ارستيب — نعم ، ولكن ليجرد الطاغية من سلاحه ، ويحفظ افاضل الناس من الموت ، و يصون اصدقاءه . فالخداع والكذب والتساهل لا تعتبر نقائص وجرائم عندما تنتج النفع وتثمر الفائدة

ديوجن — ولكن ليخلص اصدقاءه قد شوهد ذليلا يقبل رجلي

---

* نقلا عن الفيلسوف كوندرسه

دانيس .

ارستيب — اي ذنب عليّ بذلك اذا كانت الطبيعة قد وضعت اذني دانيس في رجليه .

ديوجن — ان الفيلسوف الذي يكون خريج فيثاغورس لا يكون غير عدو لدود للطغاة المستبدين ولا يعيش في سيراكيز الا ليزرع في عقول شعبها الضعيف — عاطفة الحرية واحترام الوطن لتثبت هذه العاطفة و يثير ذلك الاحترام الشجاعة والاقدام وتعصف العاصفة فيهب شعب سيراكيز : بوجه ظالمه الطاغية

اما لو قادت الهة القدر ديوجن الى سيراكيز لعنف دانيس على بر بريته ، وقلم اظافر شهوانيته ، وكسر اصنام عجرفته ،

ان دانيس يعتقد نفسه الهًا اما ديوجن فقد كان هدم بمعول برهانه معتقده . ونفث في دماغه انه احقر من رجل عادي رادني .

ارستيب — ان دانيس هو ملك شعب اعزل .

هو ملك يحيط به الجنود ، وتحف به الابطال

الجنود والابطال الذين طردوا جبابرة افريقيا ، ورفعوا راية النصر فوق رؤوسهم مفاخرين

وهؤلاء الجنود والابطال يستميتون في سبيل العرش ،

ان المجد في تمثيل شجاعة تدفع دانيس لارتكاب جريمة جديدة — اعمل على تطهير يديه من مثلها — هو مجد باطل

اني اجرأ على ملامته عندما ادرك ان الملامة تفيد
اني لا اخاف الموت ، ولكني لا اكره الحياة .
لا احب ان أضحي لمجد باطل .
ان التضحية شريفة وعزيزة اذا ما كانت اكراماً لمجموع الرجال
ديوجن — ان ارستيب قد الف الملذات فاصبح عبدالشهوات لذلك يرى حياة الملذات الشهوانية اشرف من الموت الحر النبيل .
ارستيب — ان الملذات لا تستقر في نفس خشنة متمردة
ان الشهوة لا تعيش في دماغ حساس متألم ، ونفسي اخشن من نفسك وتمرد شخصيتي فوق تمرد شخصيتك ، وفي دماغي احساس وتألم كما في دماغك . ولكني لا اهب عاصفاً بل استنزل وحي الفلسفة فتوحي .
فما حضوري في مهرجانات دانيس سوى لصيانة مهرجاناته من الخلاعة والفجور
لان حاشية دانيس التي تمتهن العقل ، وتحتقر الشرائع تتجنب ارتكاب الخلاعة والتمرغ في حمأة الفجور في مجلس ارستيب اجلالا لعلمه واحتراماً لشخصه
واني لاقتنص من تلك المهرجانات سوانحها
اقتنص السوانح التي يكون بها دانيس طربا بالخمرة واجيد الاستفادة . أجيدها — لا بتشويقه للعدل — لان الطغاة لا يعرفون العدل ولكنني اناشده نغمات الرحمة . ان نغمات الرحمة تطرب الظلام

انها النغمات الرخيصة المسموعة ٠٠٠

اعلم ان دانيس لا يفعل الفضيلة تعشقاً للفضلة وبراً بها — لذلك اثيره فيفعلها رغبة في اللذة ٠ ومن ذلك ان قرصان البحر حملوا اليه منذ زمن ثلاثة « عبيد » اسرى ٠

ثلاثة في وجوههم جمال وعلى خدودهم منثورات دموع فلم يشاهد الطاغية جمالهم ولم يرَ دموعهم وكنت اذ ذاك اصف مأساة من فظائعه وصفاً استفزه طربا فقال :

ارستيب — لك العبد الذي تختار من الثلاثة

قلت الثلاثة يا سيدى ٠ فابتسم قائلا — مين خطنا بهم ـ نخذهم

وهكذا وهبني الثلاثة فاعدتهم في اليوم الثاني لموطنهم وارجعتهم الى عيالهم ٠

ديوجن — الارستيب النابه يعيش بين جيش من صغار المتزلفين الخادعين ويعمل على ايقاظ ضمير الطاغية المخدر ببخور المدح وافيون الثناء

ان امتزاج صوتك باصوات المخادعين يثبته من اعتقاده الكاذب فلا يشعر بما في صدور الناس من الحقد والكره ٠

وان تا ملك لاجله ، ومدحك اشخصه واطنابك باعماله يزرع الخدعة في نفسه ٠

وان تخدير الجسم لاينقي الدم من اثار المرض المريع — فعبثاً تحاول تطهير ذاتيته الاثيمة بادوية المدح الكاذب انك بذلك تخصب نقائصه

فتزيد فظائعه ٠

ارستيب — ولكني اقاتل بدهاء مواكب العبيد المحيطين به العبيد الذين يشعلون به نار الانتقام الفظيع و يمثلون له السير كيزين اعداء فيزداد بمعلوماتهم هذه حقداً وقساوة فيثور ثورة البركان ويسعي في اهلاك من قيل له بعدائهم ٠وارستيب — هو الشخص الوحيد الذي يطفئ ثورة بركانه

يطفئها بحكمة الفلسفة ولطالما خاطبته قائلا :

« ان من يحيطون بك ياسيدي يوغرون صدرك حقداً على السير كيزين لينال المتقربون المجاملون حظوة في عينيك ، وتتحرك بك عواطف النقمة والكره فتقسي الشعب متمثلا به الشر ٠ و بقسوتك وتصورك تزيد عدد الحرس والجند ٠ الحرس والجند ياسيدي لا يحفظون العرش ، ولا يحرسون الملك ، ولكن اسمك ٠

اسمك وحده يثبّت العرش ويحصّن الملك لان الناس يحترمون بك — محرر سير يكيز ٠ المنتقم لسيسيليا ٠

يقدسون شخصك نصير الفنون ٠

يعظمون بك المكون لسير يكيز عظمة تماثل عظمة اثينا

وهذه الالقاب الشريفة هي التي تحرس عرشك وشخصك ٠

بهذه الحكمة تسلطت على دماغ دانيس فجمع حوله رجال النور والفضيلة وهكذا رقيت محيطه ، و بدلت افكاره فابعد القرطاجيين

وطهر ميسيليا منهم وتنفست سيراكيز براحة .

ديوجن — ولكن ديارات واكاثوكل اللذين نفاهما دانيس يقولان بانك طربت من نفيهما — تشفياً وحسداً — وقد ضجت اثينا لشكواهما معنفةارستيب

ارستيب — ان حاشية دانيس صفقت له ، واثنت عليه عندما نفى ديارات واكاثوكل اللذين جاءا الانتقام من المفكرين العقلاء . وقد قلت لاعداء دانيس الذين اتخذوا نفيهما حجة لانتقاده « لو لم يكن الرجلان من شر اعداء دانيس لوجب نفيهما ولوجب ان ينتقم منهما . الا تذكر فظائعهما عندما ذبحا الغرباء اكراماً الالهة — ان دانيس انتقم لتلك الضحايا وليس لطمعهما به » وهل ديوجن يحترم ديارات واكاثوكل اكثر من دانيس .

ديوجن — . كلا اني احتقر كل ظالم واكرهه واذا كان احتقاري لدانيس اشد ، وكرهي له اعظم فلان فظائعه المرهبة اوفر . ،

اما انت يا ارستيب فلو ملكت ذاتية شريفة اكانت تلك الذاتية تقبل ان تعيش في بلاط طاغية نظاًع اعتقاداً انك تلطف بعض فظائعه لماذا لا تعيش في وطن الجمهورية حيث تهذب رجالا بتعاليك وتكونهم عظماء بصالح الاعمال وامثالك . اما لو فعلت لكانت منافعك اجمع ونظامك الطف .

ـ ان كل مستنير وجري يمكنه ان يعمل التاثير في وطن حر ، اما في

وطن مقيد فارستيب وحده يتمكن ان ينتفع وان عاش متالماً ٠

اني لا اشك ان سيراكيز يجب ان تحرر ، وان يسن لها شرائع صالحة ولكن اذا تعذر ذلك فلنعمل دون ملل — ضد الحة الحاظ — كل عمل صالح نقدر عليه ، ولا يجب ان نيأس وان كان المتسلط طاغية يحب المجد !

ديوجن — ونظرك ٠ أنظرك لم ينفر من مشاهد الاستعباد ؟

وعقلك ؟ اعقلك لم يسحق من معاشرة العبيد ؟ ٠ ٠ ٠

ارستيب — بلى ٠ بلى ولهذا جئت الى اليونان لاشاهد الرجال الاحرار ، واحادث ديوجن

ديوجن — لو كنت تقدر يا ارستيب ان تعيش مثل ديوجن — لما كنت تقبل ان تعيش في قصر طاغية ظالم

ارستيب — ديوجن لو كنت تعرف ان تعيش مع الناس — لما كنت تعيش في برميل ٠ ٠ ٠

مع ذلك يا ديوجن فجرأتك وكبر ذاتيتك ينسياني خشونتك وكبريائك ٠

ديوجن — اذن يمكن لارستيب ان يشارك ديوجن في خبزه ، ويشرب براحتي كفيه ؟

ارستيب — اجل يمكنه ذلك والشراهة التي يصفونه بها — ولكن لذته في سماع احاديثك هي اطرب من شرب الخمرة التي ترشف في اجل قدح ذهبي من اقداح سيسيليا ٠

١٩٦٨

النبل في الادراك

١

دخل فتى نبيل الادراك على خمسة رجال يتداعبون و يتشاكون وسألهم حكماً تكتب على مذكرته فيغذي بها عقله ، ويدلس بمغزاها خلقه :

فكتب الاول — لاتكن زجاجاً فيكسرك الزجاجون

والثاني — ان تقبل احياناً _ تستغني عنه — فانت اسير والمحسن امير .

والثالث — لا تكن طفيلياً ، ولا خداعاً ولا شحاذاً

والرابع — عش في عالم الدهشة والامل والحب

والخامس — لا تتعصب فتستعبد

فاحنى الفتى رأسه واسترجع مذكرته وخرج من مجلسهم متمتماً :

« كلهم من مصيبته يحذرني — ومما يجب ان يوصي به نفسه يوصيني

ووقع تحت حكمة الاول — ضعيف يستقوي

وتحت حكمة الثاني — وطني يستعلي

وتحت حكمة الثالث — متصحف مافون

وتحت حكمة الرابع — عاشق مفتون

وتحت حكمة الخامس — طائفي بالتعصب مجنون

٣

مرة ثانية دخل الفتى النبيل الادراك ، المتطلب المعرفة . دخل الى مجتمع ضم في صدره ثلاث نساء ، وعلى جانبيه اربعة رجال .

والسبعة يتداعون و يتشاكون وطلب اليهم ان يسطروا سبعة اسئلة دقيقة في فكرها ، عميقة في معناها وتقدم لهم مذكرته .

فكتب النساء وسألن :

١ الاولى : من هو الشخص الذي لا يحدد ؟

٢ والثانية : ما هي الذ ساعات الحياة واسكرها ؟

٣ والثالثة : من هي افضل امرأة واجملها في العالم ؟

وكتب الرجال :

٤ الاول : ماهي القوة العقلية التي لا تعرف ؟

٥ والثاني : ماهي اشرف قوة في الانسان ؟

٦ والثالث : اي هو الدماغ الذي ينفع و يطرب و يعجب ؟

٧ والرابع : من هو اقدر مهذب للعقل والجسم ؟

وهكذا انهى السبعة اسئلتهم ودفع سجل المذكرات الصغير للفتى الصغير في عمره الشاب في ادراكه — فقرأ وتامل ثم كتب تحت السؤال الاول : المرأة

١٧٠

٢ وتحت السؤال الثاني: اجتماع العاشقين

٣ وتحت السؤال الثالث. حبيبتي

٤ وتحت السؤال الرابع: الانانية

٥ وتحت السوال الخامس: كبر الذاتية (المعروفة بكبر النفس واحترامها)

٦ وتحت السوال السادس: الدماغ المبتكر المولد

٧ وتحت السوال السابع : العمل

١٧١

الشيوعية في (انا)

الجبار المتجلي بتطورات الحياة

١

ليعمل ربيب العقل التفكيري ، او ولده ، او ملذة فكرته ، او معبود حبه — المتمنطق بمذهبه — كما عمل اديسون رب المادة الاصغر

ليعمل هذا الرب ما شاء في مصنعه — فينطق الجماد ، ويستعبد المادة ، ويداعب البعيدين مخاطباً مجداً . او مضاحكاً هازلا :

ينطق الجماد بالماكي او الفونغراف كل ما شئت من اي الالسنين وان غضب اللغويون .

ويستعبد المادة بحكمها حكماً منظماً يولد نوراً ويشرق شموساً .

ويداعب البعيدين متفاهماً كأنه في حضرة المخاطب متكلماً مباحثاً .

ليعمل او ينقل عمل اديسون او عمل ماركوني او وط او كوري ---

* * *

ليعمل بالعقل التفكيري فحسب

بالاستقلال بهذه القوة العظيمة يشتغل

ان هذا الاستقلال مهما شئت ان تعظمه وتقدسه في ذاتية المفكر

انه لا يسعد المفكر !

انه يتعسه و يشقيه !

وللتعس والشقاء جراثيم عدوى تلقح بسرعة المحيطين بالتعس والشقي فتتعسهم وتشقيهم

٢

وليشتغل سيد القوى العاطفية الادبية بقواه — مستقلا كما اشتغل افلاطون ، و بوذا ، و برهما ، وامثال الثلاثة من الرسل !

ان هذا الاستقلال مهما طهره سيده والهه لا يسعده

انه يتعسه و يذله .

انه يمرر ايامه و يشقيه .

وللتعس والشقاء جراثيم عدوى تلقح بسرعة المحيطين بالتعس والشقي فتتعسهم وتشقيهم

٣

وليعمل حبيب القوى الشهوانية باستقلال هذه القوى كما عملت الهتريات عند اليونان ، وتلذذ ابو نواس عند العرب . وعمر الخيام عند الفرس . وتمرغ رسبوتين عند الروسيين

ان عمله لا يسعده

انه يتعسه و يشقيه

وللتعس والشقاء جراثيم عدوي تلقح بسرعة المحيطين بالتعس والشقي

فتتعسهم وتشقيهم

٤

ان القوى المثلثة في الدماغ الانساني : التفكيرية التحليلية ، والادبية الاجتماعية ، والعاطفية الشهوانية — اذا لم تعمل متفاهمة وتنال كل واحدة قسطها من الحياة فانها تفقد التوازن في الحياة وتطير النوم من الدماغ

ومتى طار النوم من الدماغ ذاب مجموع العقل وترهلت قوى الجسم يخسر الانسان حظه من السعادة

لان القلق الدائم — اضطراب دائم — والاضطراب الدائم — شقاء مستمر

فلكي تنام نوماً هنيئاً في الليل ، يجب ان تعمل عملا متوازناً بين جميع قواك في النهار

فكما تتغلب بصولة عقلك التفكيري التحليلي خمس مرات في اليوم على شياطين شهواتك — ليكون التغلب افيونا مخدراً — ينوم

وكما تستكشف خمس معلومات في النهار لتخصب بها دماغك ويكون خصبه خشخاشا — ينوم

كما تتغلب وتستكشف يجب ان تضحك خمس مرات وتتهلل خمس مرات

افعل ذلك لئلا تخسر معدتك ، وسلامة مجاري دمك وطرب الياف دماغك

وكما تتغلب وتستكشف خمس مرات وتضحك يجب ان تلعب خمس مرات ، وتمشي خمس رحلات وتروض جسمك متمرنا خمس مرات ثم تحلم مثلها :

تحلم بالحب والمرأة والولد والنزهة والاكل

٥

صبي وشاب وشيخ يوجد في دماغ اعظم الرجال واصغرهم

الصبي للعب والضحك والقفز واللهو والرياضة

الشاب للحب والتغزل والجمال والتصابي والاحلام

الشيخ للتفكر والعبرة والاختبار والنصح والاعتدال

٦

والدماغ الذي لا يتمرن على الثلاثة معاً هو دماغ ناقص مضطرب يشقي صاحبه

. . . .

اذا اكتفى بامبراطورية التفكير والتحليل فهو صحراء ناشفة قاحلة لا ماء فيها ولا طير ولا زهر

واذا اشتغل بالامارة العاطفية فهو متالم كثير البكاء كثير العويل او وثاب غضب نمام سفاح

١٧٥

واذا اشتغل بالمملكة الحيوية الشهوانية فهو عاهر ينتحر ووحش يفترس

٧

فالاستقلال بكل مملكة من ممالك الكيان الانساني يذل و يشقي

اذن كن بذاتياتك او ممالك عقلك الثلاث المعروفة « بانا » اشتراكيا كن شيوعياً

كن صبياً وشابا وشيخاً — وان كنت شابا او شيخاً

صبياً يلعب ويزمر، وشابا يحب و يلهو ، وشيخاً يفكر و يعمل

كن كذلك . وليكن ابن الخطاب امير المؤمنين العبقري المثل الاعلى للقدوة

انه مثل الثلاثة باجمل مظاهرها فكان طفلا صبيا مع اطفاله وصبيانه . كما كان شابا وشيخاً بجميع تطورات اعماله

متى قدرت ان تمثله وان تكون الثلاثة في « انا »

فانت افضل حكيم اشتراكي

وانت خير رفيق شيوعي

* * *

محتويات الجبابرة

تقدمة الجبابرة ا
مقدمة لغير المؤلف ب
طلائع الجبابرة و
العلماء والدماغ والجبابرة ز
كمال هذا العلم وعصمته ح
الدماغ ومراكز القوى العاقلة (مصورة) ي
معرفة القوة ف

امام هياكل الجبابرة ١
اداة الجبار ٢٢
العصمة ٢٤
مواقف السيادة ٢٥
مغتصبو العروش ٢٧
في الكفة الاخرى ٣٠
الالم (مصورة) ٣٣
ثلاثة اقانيم ٣٧
العدل والحكمة والالوهية ٤٩
الهة الشر ٥١
التماثيل السبعة ٥٢
المصائب والحكيم ٥٤
فلسفة النجاح ٥٥
سيدة الجبابرة ٥٨
العالم شخصيتنا ٦٧
لاتتجه ٧٠
الذكاء والنبل العاطفي ٧١
الذكرى (مصورة) ٧٥
نسيج القوة ٨١
المتشائمون والمتفائلون ٨٥
الفتاة المتمردة ٨٦
استعمار العقلية الشعبية ٩٠
ابن تيمور ٩٤
جمال وحب والوهيه / في فينيقية مملكة الجبابرة ٩٧
الفلسفة والسياسة / ديوجن وارستيب ١٦١
النبل في الادراك ١٦١
الشيوعية في (انا) ١٧١

وقع في الكتاب اغلاط مطبعية يدركها القارئ النبيه